القدس
في مواجهة الخطر

شحادة الخوري

العنوان الأصلي للكتاب: القدس في مواجهة الخطر

اســـــــم المــؤلف: شــحادة الخــــوري

الطبعة الأولى ـ 2001

دار الطليعة الجديدة

سوريا ـ دمشق ـ ص.ب 34494

تلفاكس: 2775872

موافقة الطباعة صادرة عن مديرية الرقابة في وزارة الاعلام رقم ٤٨٣٢٥ تاريخ ٣/ ٢٠٠٠/٨

اخراج: هالـة قطوم

صمم الغلاف: جمال سعيد

تمهيد:

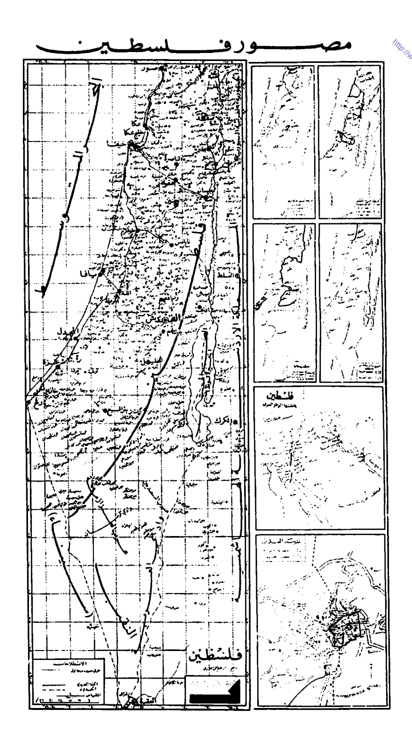
القدس ظاهرة حضارية فذة ومتفردة بين مدن العالم. وقد ظلت، على تعاقب الأزمنة وتوالي الأيام ذات أهمية بالغة وشأن كبير، على الرغم مما شهدت من أحداث جسام، وما اعترضها من حروب ونكبات. غزاها الأقوياء طمعاً بموقعها وخيراتها، ولم يخرج منها غازٍ، فكانت مدينة السلام بحق. ولكنها خلال مقاومتها المعتدين وتعرضها لعمليات الحصار والتدمير، تهدمت ثماني عشرة مرة، خلال عمرها الممتد خمسة آلاف سنة، ثم أعيد بناؤها من جديد.

وفي هذه المسيرة التاريخية، كانت القدس في قلب الأحداث دوماً، وشهدت التحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي عرفتها المنطقة العربية عامة، وبلاد الشام ـ سورية الطبيعية، خاصة؛ واقترن اسمها بالديانات التوحيدية الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام: ففيها بنى سليمان الهيكل، وفيها ألقى المسيح تعاليمه، وبنيت كنيسة القيامة، ثم كانت في الإسلام القبلة الأولى، وفيها بُني المسجد الأقصى ثالث الحرمين الشريفين.

وعلى الرغم من الأحداث العاصفة التي مرت بها القدس، فقد بقيت على الدَّوام مهوى الأفئدة ومقصد الحجاج من كل صوب، وملاذ القيم الروحية والأخلاقية.

وحافظت القدس على تراث حضاري غني ومتنوع، وكان أهلها وما زالوا يشكلون نسيجاً بشرياً وثقافياً متصل الحلقات متكامل الأجزاء، لم يبدله تعاقب الدول والحكام ولا غيَّرت طبيعته تقلبات الظروف والأحوال، هو النسيج الكنعاني العربي، وكل نسيج آخر قاربها ظلَّ طارئاً غريباً عابراً، ما لبث أن تبدَّد كما يتبدد الزبد عن وجه الماء.




مصـــور فـــلسطـيـن
عكا
حيفا
يافا
القدس
غزة
الكرك
فلسطين


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

الفصل الأول

عرض تاريخي

١ ـ من التاريخ القديم:

يكاد يكون متعذراً أن يقارب الباحث قضية القدس إذا لم يلمّ بتاريخها، وتاريخ فلسطين جملة، ولو إلماماً وجيزاً، لأن مأساة القدس وفلسطين التي شهدها القرن العشرون وما تزال فصولها تتتالى إنما ترجع إلى حق تاريخي مزعوم يدعيه الصهاينة في هذه الأرض.

ونحن، فيما نذهب إليه، إنما نعتمد على كتاب العهد القديم ـ التوراة ـ وكتابات المؤرخين الثقات، وما عثر عليه الأثريون من رسوم وأدوات ومدونات.

• لقد سكن الإنسان العاقل فلسطين في عصور ما قبل التاريخ، العصور الحجرية الثلاثة: القديم والمتوسط والحديث، والعصور المعدنية الثلاثة: النحاسي والبرونزي والحديدي.

ودلت التنقيبات الأثرية على أن فلسطين قد مرت بهذه العصور جميعها وعرفت الحضارات البدائية بكل أشكالها.

وبدأت العصور التاريخية في حوالي منتصف الألفية الرابعة قبل الميلاد، باختراع الكتابة حوالي عـام ٣٥٠٠ ق.م في بلاد الرافديـن ووادي النيل وسـيناء فلسطين. وفي هـذه الفترة بـدأت الهجـرات البشـرية مـن شـبه الجزيـرة العربيـة إلى بـلاد الهـلال الخصيـب وسورية بسبب الازديـاد البشـري وشحِّ المـوارد الطبيعيـة اللازمـة للعيش.

ويرجح أن تكون هجرة الأكاديين البـابليين والآشـوريين إلى مـا بين النهرين نحو عام ٣٥٠٠ ق.م، وهجرة العموريين والكنعـانيين والفينيقيين إلى شمال سـورية وجنوبهـا وسـاحلها أعـوام ٣٠٠٠ ــ ٢٨٠٠ ق.م وهجــرة الآراميــين إلى ســورية الداخليــة عــام ١٥٠٠ق.م... إلخ

وقد تعايشت هذه القبـائل والجماعـات وتجـاورت في السـكن، واتصل بعضها ببعض، بل وتداخلت أحياناً. جـاء في سـفر العـدد الفصـل ٣٠/١٣: «العمالقـة مقيمـون بـأرض الجنـوب والحثيـون واليبوسـيون والعموريون مقيمون بالجبل والكنعـانيون مقيمـون عنـد البحر وعلى عُدْوَة الأردن».

إن العمالقة واليبوسيين قبائل كنعانية، والحثيـين قلـة، ولكـن الكثرة من سكان فلسطين كانت من العموريين والكنعانيين.

* أما العموريون، ومعنى الاسم سكان الغرب، فسكنوا الجبـال وكـانوا رعـاة، أقويـاء الأجسـام، طـوال القامـات، جـاء في ســفر

عاموس، الفصل الثاني/٩: «وإني قد دمرت من وجوههم الأموريين الذين مثل قامات الأرز قاماتهم وصلابتهم كالبَلُّوط ودمرت ثمارهم من فوق وعروقهم من تحت». هكذا يقول الرب.

وقد كان للعموريين مدن ابتنوها، أهمها مدينة ماري بتل الحريري وهي اليوم جوار أبو كمال، وإيبلا بتل مرديخ، ويمحاض وهي حلب، وقَطْنَة وهي المشرفة بشرقي حمص. وكان لهم في فلسطين مدن كثيرة مثل مدينة حبرون (الخليل) وعاي (دير دبوان) وحُسْبان (في شرقي الأردن) ولخيش وتل النجيلة قبل غزة، وعمريت على الساحل السوري.

ـ أما الكنعانيون فقد تداخلت هجرتهم مع العموريين، وهم يعدون أكبر هجرة جرت من جزيرة العرب إلى أرض الشام. ومن المدن التي بنوها في فلسطين أريحا الجديدة (يريحو) عام ٣٠٠٠ ق.م، في فترة بناء اليبوسيين، وهم فصيل من الكنعانيين، مدينة يبوس (القدس)، بعد أن كانت أريحا القديمة قد بنيت قبل ذلك بثلاثة آلاف سنة، ومعنى أريحا «القمر». ومن مدنهم: بيت شان (بيسان) وعمون (عمان). وقد انتشر الكنعانيون في أرض فلسطين حتى سميت باسم «أرض كنعان»، وبلغ عدد سكان فلسطين إذاك ربع مليون نسمة، وعدد المدن /٢٠٠/ مدينة. وقد عبد الكنعانيون كبير الآلهة إيل وابنه بعل إله الشمس والخصوبة، وقدموا القرابين النباتية والحيوانية والبشرية.

• واستقر فريق من الكنعانيين في الساحل السوري اللبناني حالياً، فعرفوا بكنعانيي الساحل، وسماهم الإغريق الفينيقيين، نسبة إلى الصبغ الأرجواني (الفينيكس) الذي اشتهروا به. وكانت من مدنهم: أوغاريت (رأس شمرا) وبيريتوس (بيروت) وأرادوس (أرواد) وبيبلوس (جبيل) وصيدون (صيدا) وصور (بمعنى الصخر) ثم قرطاجة (القرية الحديثة) على الساحل التونسي، واشتهروا بالملاحة والتجارة والصناعات اليدوية.

• وأما الآراميون الذين هاجروا إلى بقاع سورية الشمالية والعراق في منتصف الألف الثانية قبل الميلاد، ويعني اسمهم (آرامو) الأرض المرتفعة، فقد أسسوا ممالك عديدة منها مملكة دمشق وآرام النهرين بين الخابور والفرات، وآرام صوبا من غرب الفرات إلى حماة، وآرام معكة من جبل حرمون إلى شرق الأردن، ومملكة جشور في شرقي الأردن، ودولة بيت رجوب قرب حماة.

ومعروف أن اسمي آرام وسورية وردتا مترادفتين في الترجمة السبعينية للكتاب المقدس التي أمر بها الملك بطليموس الثاني فيلادلفوس (٢٨٥ - ٢٤٧ ق.م)، ودعي نعمان الآرامي (٢ ملوك ٥/٢٠) نعمان السرياني أو السوري في إنجيل لوقا (٤/٢٧). وهكذا تكون آرام وسورية مترادفتين ويكون الآراميون أو السريان قوماً واحداً، إذ سمي من تنصر من الآراميين سريانياً، ولغتهم معروفة ومتداولة إلى اليوم، على نطاق محدود.

▪ وهناك شعب جاء من البحر ونزل الساحل الجنوبي من سورية وهو الشعب الفلسطيني. إنه من أصل آري وفد من جزر بحر إيجه وبالأخص من جزيرة كريت حوالي عام ١١٨٥ ق.م، وسكن بين يافا وغزة فدعي الساحل باسمه، ثم أطلقه المؤرخ اليوناني هيرودوت على أرض كنعان بكاملها. وقد كان للفلسطينين خمس مدن مهمة، هي أشدود الحاضرة الرئيسية وغزة وعسقلان وعاقر وجات التي تدعى اليوم عراق المنشية، وهذه المدن ما تزال قائمة حتى اليوم.

وقد تصدى الفلسطينيون هؤلاء للعبرانيين، وكان منهم المقاتل جليات الجبار، وكان لهم مهارة في صنع الأسلحة من الحديد بدلاً من البرونز.

ومع الزمن نسي الفلسطينيون لغتهم الكريتية وتكلموا اللغة الكنعانية، واقتبسوا طراز حياة الكنعانيين وعبدوا الآلهة الكنعانية: بعل وسواه.

ومن الجدير بالذكر أن مساحة فلسطين بحدودها الدولية بعد الحرب العالمية الأولى، تبلغ (٢٧٠٠٠) كم٢.

جدول رقم (١)

الهجرات العربية المتتالية الكبرى

من شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الرافدين والشام

الأقوام المهاجرة	الوطن المهاجر إليه	زمن الهجرة بالتقريب
١ ـ هجرة البابليين والآشوريين.	بلاد ما بين النهرين	٣٥٠٠ ق.م
٢ ـ هجرة العموريين والكنعانيين والفينيقيين.	العموريون: شمال سورية. الكنعانيون: جنوب سورية الفينيقيون: ساحل سورية	٣٠٠٠ ـ ٢٨٠٠ ق.م.
٣ ـ هجرة الآراميين	سورية الداخلية	١٥٠٠ ق.م
٤ ـ هجرة الأنباط	جنوب الأردن	٥٠٠ ق.م
٥ ـ هجرة المناذرة والغساسنة	المناذرة: العراق الغساسنة: سورية	١٥٠ م
٦ ـ الفتوحات العربية الإسلامية	بلاد الشام ومصر والمغرب والأندلس.	٦٣٥ م



٢ ـ بناء القدس:

• بنى اليبوسيون القدس في نهاية الألفية الثالثة قبل الميلاد أي حوالي /٣٠٠٠/سنة ق.م أي قبل خمسة آلاف سنة من يومنا هذا. واليبوسيون فصيل من الكنعانيين الذين نزحوا أفواجاً بالتتابع من شبه الجزيرة العربية إلى جنوب سورية في الألف الثالث قبل الميلاد. وقد بنيت هذه المدينة، في البداية، على هضبة ركامية تقع بين منحدرات الغور من الشرق ومنحدرات أودية المتوسط من الغرب، تحيط بها جبال، تشرف عليها من الشمال (جبل سكوبس) ومن الشرق (جبل الطور) ومن الجنوب (جبل المكبر) ومن الغرب (تلة صهيون).

وإلى شرق هذا الموقع الذي بنيت فيه القدس، تقع الأرض المجدبة التي تدعى برية القدس المؤدية إلى غور الأردن، وإلى غربه تقع أراضٍ رطبة صالحة للزراعة.

ويرتفع موقع المدينة /٧٥٠/ متراً عن سطح البحر المتوسط و/١٥٠/ متراً عن سطح البحر الميت، ويبعد عن البحر المتوسط /٥٢/ كيلو متراً، وعن بحيرة لوط /٢٢/ كيلو متراً.

إن هذا الموضع الذي شيدت فيه القدس جعلها مدينة مركزية في فلسطين، سورية الجنوبية، وعقدة اتصال بين جهات سورية الطبيعية الأربع، وجعل منها قبلة أنظار الفاتحين على مر

العصور، يأتونها من الشرق والغرب والشمال والجنوب طامعين بخيرات فلسطين، أرض كنعان، وبالسيطرة على موقع استراتيجي يتحكم بالطرق الواصلة بين القارات الثلاث: آسيا وإفريقيا وأوروبا.

ه كانت النواة الأولى التي بنيت تقع على تلال الضهور أو الطور لأسباب أمنية. ويمكن أن ندعو هذه النواة **القدس التاريخية**، أي القدس التي شادها اليبوسيون، وهي تقع خارج السور وإلى جنوبه الشرقي. وفيما بعد حلت نواة أخرى محلها وتشمل مرتفع جبل الزيتون في الشمال الشرقي ومرتفع ساحة الحرم ومرتفع صهيون، هذه الأماكن التي تشكل ما ندعوه «**القدس القديمة أو القدس العربية**» التي تشتمل على الأماكن المسيحية والإسلامية المقدسة: الحرم القدسي الشريف، المسجد الأقصى، مسجد الصخرة، حائط البراق، كنيسة القيامة، درب الآلام، كنيسة الجثمانية.

وأما **القدس الجديدة** فتشمل جميع ما يقع خارج السور.

لقد كان للمدينة، منذ القدم، أبواب لسور يحيط بها، شأن المدن القديمة الأخرى. وقد تهدَّمت هذه الأبواب ثم جددت أكثر من مرة. وكان آخر هذه الأبواب أبواب السور الذي بناه السلطان العثماني سليمان القانوني عام ١٥٤٢م، بطول أربعة كيلومترات، وجعل له سبعة أبواب هي: باب العمود، وكان يدعى باب

دمشق، باب الساهرة الذي دعاه الغربيون باب هيرودس، وباب الأسباط الذي دعاه الغربيون باب اسطفان، وباب المغاربة، وباب النبي داود الذي سماه الغربيون باب صهيون، وباب الخليل الذي دعاه الغربيون باب يافا، والباب الجديد الذي فتح في السور عام ١٨٩٨م لدى زيارة الإمبراطور الألماني غليوم الثاني للقدس.

ـ وقد عرفت القدس بأسماء عدة خلال التاريخ. أطلق عليها بناتها الأولون اليبوسيون اسم أحد آلهتهم أو ملوكهم أو أجدادهم «سالم» فعرفت بأور سالم أي مدينة سالم، أو أورشالم، إلى جانب اسم جماعة المؤسسين «يبوس»، وتوافق اسم أورشالم مع أورشليم أو حُرِّف إليه بمعنى مدينة السلام.

وقد ورد اسم يبوس في النص التوراتي، ففي الآية ١٠ من الفصل ١٩ من سفر القضاة ورد ما يلي: «جاء (رجل) إلى مقابل يبوس التي هي أورشليم...» والآية ٤ من الفصل ١١ من سفر أخبار الأيام الأول: «وسار داود وجميع إسرائيل إلى أورشليم التي هي يبوس حيث كان اليبوسيون سكان الأرض». وفي كتابات وجدت في مصر ترجع إلى القرنين التاسع عشر والسادس عشر قبل الميلاد، ورد اسمها «اورشاليموم»، ووجد هذا الاسم في تل العمارنة بمصر في ست رسائل بعث بها ملكها عبد خيبا إلى إخناتون فرعون مصر في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وكانت أرض كنعان آنذاك تحت السيطرة المصرية.

أما في النص التوراتي فقد وردت باسم «أورشليم» أكثر من (٦٨٠) مرة، كما وردت فيه بأسماء أخرى: ساليم، شاليم، مدينة العدل، مدينة القدس، مدينة الله، مدينة السلام.

وعندما استولى عليها الملك داود عام ١٠٠٠ ق.م، وجعلها عاصمة ملكه أضاف إلى أسمائها اسم «مدينة داود» واستخدمت هذه التسمية مدة من الزمن ثم زالت.

وفي زمن الحكم الروماني لفلسطين، حملت القدس اسم أورشليم، حتى جاء الإمبراطور إيليوس هادريانوس الذي قمع ثورة باركوبا (١٣٢ـ ١٣٥م) ونسف القدس بكاملها وأعاد بناءها وأطلق عليها اسمه فدعيت «كولونيا إيليا كابيتولوينا».

وعند دخول الخليفة عمر بن الخطاب مدينة القدس عام ٦٣٨م وجه العهدة العمرية المشهورة إلى أهل إيلياء.

وهذه المدينة عند العرب تدعى القُدُس والقدْس الشريف، وبيت المقدس، وكلها أسماء تشير إلى قداستها أو قدسيتها عبر الزمن.

٣ ـ العبرانيون والقدس:

▪ خرج إبراهيم (إبرام: الأب الرفيع) من أور الكلدانيين في جنوبي العراق إلى مدينة حاران، وهي حُرَّان (الرُها) شمال سورية. ويذكر العهد القديم أن اسم أبيه تارح، وتارح من أولاد سام أحد أولاد نوح الثلاثة: سام وحام ويافث.

غـادر إبراهيـم حـاران، وتنقـل ومـن معـه مـن أهلـه وجماعتـه ومواشـيه في ســورية، ثــم انتقــل إلى أرض كنعــان حــوالي عام ١٩٠٠ ق.م. وجاء في سفر التكوين (الفصل ٧/١٢) أن إبراهيـم «اجتـاز في الأرض إلى مكـان شـكيم وكـان الكنعـانيون حينئـذٍ في الأرض» وشكيم هي بلاطة المجاورة لنابلس اليوم.

وانتقل إبراهيم إلى جهـات رام الله والقدس وبـئر السـبع، ثـم رحل إلى مصر عندما حصل قحط شديد. وبعد إقامـة قصـيرة فيهـا عاد مع امرأته سارة إلى أرض كنعان، ومعه جارية تدعــى هـاجَر. مرَّ بجوار غزة ثم تجول بـين بـئر السـبع والخليـل، ثـم صعـد إلى أورشليم اليبوسية، وتنقل في جبال القدس والخليل.

ولدت له جاريته هاجر «إسماعيل» فحملته سـارة غَـيْرَةً، علـى إبعاد إسماعيل وأمه. وبعدها اختتن وسمي إبراهيم (أبو الجمهـور) بدل إبرام وسُميت ساراي (المجاهدة) سارة أي (أمـيرة). وحملـت منه وولدت له اسحق وكان عمر إبراهيم إذَاك مئة سنة.

ويذكر العهد القديم أن الرب أعطى إبراهيم وعداً بأرض كنعـان في سفر التكوين ٨/١٧: «وأعطيك أرض غربتـك لـك ولنسـلك مـن بعدك جميع أرض كنعان ملكاً أبدياً» ومن بعد يذكر العهد القديـم أن الرب كرر هذا الوعد لاسحق ابنه ثم ليعقوب حفيده الملقب بإسرائيل.

والملاحظ أن إبراهيم عندما أراد مدفناً لزوجته بجوار الخليل لم يتذكر ذلك الوعد، بل اشترى بماله الخـاص قطعـة أرض صغـيرة

من صاحبها عفرون الحثي، ودفن زوجته في مغارة في تلك الأرض تدعى مغارة المكفيلة. وعندما توفي إبراهيم وكان عمره ١٧٥ عاماً كما يذكر العهد القديم، دفن في المغارة ذاتها وكذلك ابنه اسحق وزوجته رفقة وحفيده يعقوب وزوجته ليئة. وهذه المغارة تقع ضمن الحرم الإبراهيمي بالخليل .

ونوجز فيما يلي الأحداث التي تمت بعد إبراهيم:

• هاجر بنو إسرائيل، أبناء يعقوب بن اسحق بن إبراهيم من أرض كنعان إلى مصر بسبب المجاعة التي حصلت آنذاك، والتقوا بأخيهم يوسف الذي أحرز مكانة عند فرعون.

ولبثوا في مصر من عام ١٧٢٠ ق.م إلى عام ١٢٩٠ ق.م أي مدة (٤٣٠) سنة.

• خرج موسى ببني إسرائيل من مصر إلى سيناء مع العبيرو، وهم جماعة غرباء ومتعددو الأصول ومغامرون، وذلك عام ١٢٩٠ ق.م. أعطاهم موسى الوصايا العشر التي تسلمها، وعلمهم الشريعة ـ الناموس ـ ومات قبل أن يدخل أرض كنعان.

• في عام ١٢٥٠ق.م دخل الإسرائيليون أرض كنعان التي كانت آهلة عامرة. بقيادة يشوع بن نون، وفتحوا مدنها بالقتل والتدمير والإبادة. بدأ يشوع بأريحا، فحاصرها ثم دك أسوارها ودمرها. يقول العهد القديم قال له الرب: «احرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها، أما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد

فاجعلوها في خزانة بيت الرب» ثم غزا مدينة عاي وفتحها: «انثنوا وضربوا رجال عاي. ضربوهم حتى لم يبقَ منهم شارد ولا منفلت... وأحرق يشوع عاي وجعلها تلاً أبدياً خراباً إلى هذا اليوم» يشوع (٨/٢-٢٨). وعن الأرض قال: «اقسمها بالقرعة لإسرائيل ملكاً» يشوع (١٣/٦). ثم حكمهم حكام عرفوا بالقضاة ومنهم: جدعون وشمشون وصموئيل.

• وعندما حكم الملك شاول وهو أول من سمي ملكاً لبني إسرائيل عام ١٠٢٥ ق.م أقام في جبعة شمال أورشليم، وتدعى اليوم تل الفول، وحكم /٢٢/ سنة. وحكم بعده داود بن يسى من سبط يهوذا عام ١٠٠٣ق.م، وبعد ثلاث سنوات من حكمه أي في عام ١٠٠٠ ق.م استولى على مدينة أورشليم وجعلها عاصمة ملكه وحكم ثلاثين سنة (١٠٠٣-٩٧٣) ق.م.

وبعده حكم ابنه سليمان الملقب سليمان الحكيم، وبنى الهيكل في أورشليم بمعونة حيرام ملك مدينة صور، وكانت مدة حكمه ٤٣ سنة. وعند وفاته عام ٩٣٠ ق.م انقسمت المملكة إلى دولتين: دولة يهوذا عاصمتها أورشليم وتضم سبطين من أسباط إسرائيل هما يهوذا وبنيامين، وإسرائيل وعاصمتها السامرة وتضم عشرة أسباط.

وهكذا تكون مدة الدولة الإسرائيلية الموحدة (٩٥) عاماً (١٠٢٥- ٩٣٠ ق.م) ومدة اتخاذها أورشليم عاصمة ٧٠ سنة لا غير.

وقد كان أكثر سكان القدس في عهد داود وسليمان من اليبوسيين والكنعانيين والعموريين والفلسطينيين. وقد تكلم بنو إسرائيل اللغة العربية القديمة (السامية)، ثم تكلموا اللغة المصرية في مصر، ثم اللغة الكنعانية عند عودتهم ودخولهم أرض كنعان ثم اللغة الآرامية عند انتشارها في بلاد الشام، ابتداءً من القرن الثالث قبل الميلاد. أما العبرانية فهي مشتقة من اللغة الآرامية (آرامية التوراة).

٤ ـ الغزوات والاحتلالات:

آ ـ مصر وآشور وبابل وفارس:

• في عام ٩٢٦ ق.م اجتاح تحوتمس فرعون مصر فلسطين، واحتل القدس ونهب الهيكل.

• وفي عام ٧٢٢ ق.م استولى الآشوريون بقيادة سرجون الثاني على مدينة السامرة، وسبى رجال إسرائيل، وأخذ الجزية من مملكة يهوذا.

• وعام ٧٠١ ق.م غزا سنحاريب ملك آشور فلسطين، وحاصر القدس ثم تراجع عنها لما أصاب الطاعون جيشه.

• وعام ٥٩٧ ق.م هاجم البابليون بقيادة نبوخذ نصر الثاني، مدينة أورشليم فاستولى عليها، ودمر هيكل سليمان (الدمار الأول) وقد أبعد نحو عشرة آلاف من سكانها اليهود إلى مدينة بابل.

• وفي عام ٥٣٩ سمح الملك الفارسي كورش الذي أسس الإمبراطورية الفارسية لبني إسرائيل أن يعودوا من منفاهم ببابل إلى فلسطين، فعاد قسم منهم ورمموا الهيكل في القدس، وكانت مدة السبي (٥٨) عاماً. ولبثت القدس وفلسطين تحت الحكم الفارسي (٢٠٧) سنوات حتى كان الفتح المكدوني.

ب ـ الإغريق و روما وبيزنطة:

• في عام ٣٣٢ ق.م دمر الاسكندر المكدوني إمبراطورية الفرس في غزوة صاعقة حملته من مكدونيا إلى ضفاف الهندوس. ودخل الاسكندر القدس عام ٣٣٢ ق.م. ثم تعاقب عليها خلفاؤه البطالسة الذين اتخذوا الإسكندرية عاصمة لهم مدة (١٣٥) سنة (٣٣٢ - ١٩٧ق.م) والسلوقيون الذين اتخذوا أنطاكية عاصمة لهم (٥٥) سنة (١٩٧ - ١٤٢ق.م). وفي العهد السلوقي قام اليهود في القدس بتمرد قمعه أنطوخيوس الرابع عام ١٦٨ق.م، وألزم اليهود باتباع الديانة اليونانية الوثنية، ودمر الهيكل (الدمار الثاني). ثم قامت ثورة المكابيين عام ١٣٥ق.م وحصلوا على الحكم الذاتي لمدة ٥٩ عاماً (١٣٥ - ٧٦ق.م) وانتهى باستيلاء الرومان على القدس.

• دخل القائد الروماني بومبيوس مدينة القدس عام ٦٣ ق.م، بعد فترة من الفوضى، وصارت فلسطين ولاية رومانية حكمتها روما مباشرة تارةً، وتارةً بصورة غير مباشرة، عندما نصبت عام

٣٧ ق.م هيرودس الآدومي الذي اعتنق اليهودية، ملكاً على الجليل ويهوذا، فظل يحكمها حتى عام ٤ م. ومن الجدير بالذكر أن الملك هيرودس هو الذي وسع الهيكل وحصّنه بسور هو ما يعرف اليوم بحائط المبكى.

وكانت ولادة السيد المسيح في بيت لحم حدثاً كبيراً في تاريخ القدس وفلسطين، بل العالم بأسره.

وفي عهد الإمبراطور نيرون ثار اليهود على الحكم الروماني، فقام القائد تيطوس عام ٧٠ م باحتلال القدس وهدم الهيكل (الدمار الثالث) وبدأ الشتات اليهودي في العالم.

وهكذا يكون الهيكل قد بني وهدم ثلاث مرات: هيكل سليمان بني عام ٩٦٩ ق.م وهدمه البابليون عام ٥٩٧ ق.م، وهيكل زر بابل الذي بناه اليهود بعد عودتهم من السبي البابلي عام ٥٣٩ ق.م، ودمره أنطوخيوس الرابع عام ١٦٨ ق.م وهيكل هيرودس الذي بناه عام ٢٠ق.م وهدمه القائد الروماني تيطوس عام ٧٠ م، وبدأ الشتات اليهودي في العالم.

وكانت آخر ثورات اليهود وتمرداتهم ثورة باركوبا عام ١٣٥م فأسرع الإمبراطور إيليوس هادريانوس إلى قمع هذه الثورة، وخرب المدينة وحولها مستعمرة وسماها باسمه «ايليا كابيتولوينا» وبنى فيها معبداً لجوبتر مكان الهيكل.

وكانت مدة الحكم الروماني لفلسطين ٣٦٨ سنة (٦٣ق.م - ٣٠٥م).

• وفي عام ٣٠٥ م نشأت الدولة البيزنطية في القسطنطينية (روما الجديدة). وبعد ذلك بثماني سنوات عام (٣١٣ م) تحول الإمبراطور قسطنطين إلى المسيحية، واصدر مرسوم ميلانو الذي اعترف فيه بالديانة المسيحية ومنحها الحرية.

أعاد قسطنطين إلى القدس اسم أورشليم، وزارت والدته هيلانة هذه المدينة عام ٣٢٦ م، وبنت كنيسة المهد في بيت لحم، كما بنيت كنيسة القيامة في القدس بأمر منه.

وكانت مدة الحكم البيزنطي لفلسطين (٣٣١) سنة (٣٠٥ ـ ٦٣٦م) ولكن تخلل هذه المدة فترة (١٥) سنة من الحكم الفارسي، إذ اجتاح كسرى الثاني فلسطين عام ٦١٣ م ودمر الكنائس بمساعدة اليهود، ولبث الفرس يحكمونها حتى أخرجهم منها الإمبراطور البيزنطي هرقل عام ٦٢٨م.

٥ ـ العرب المسلمون:

آ ـ الراشدون:

ورد ذكر القدس في القرآن الكريم والحديث النبوي مرات عديدة، وكانت قبلة الإسلام الأولى، وإليها إسراء الرسول الكريم ومنها عروجه.

وبعد معركة اليرموك التي انتصر فيها العرب على الروم، حاصرها أبو عبيدة الجراح، فطلب بطريركها صفرونيوس الدمشقي

الأصل حضور الخليفة عمر بن الخطاب لتسليمه مفاتيح المدينة. حضر الخليفة عمر عام ٦٣٨م، فاستقبله أهلوها ولم تُرَقْ نقطة دم واحدة، فأعطاهم العهدة العمرية بأن تصان أرواحهم وأموالهم وكنائسهم، وبألا يسمح لليهود بالعيش بينهم.. وقد رفض الصلاة في كنيسة القيامة لئلا تتخذ صلاته سابقة لمن يأتي بعده، وذهب إلى موقع المسجد الأقصى ونظّف الصخرة وبنى مسجداً في الزاوية الجنوبية من الحرم. ومنذئذ تكاثر عدد الصحابة والتابعين والمسلمين عامة في القدس، واحتفظ المسيحيون بكنائسهم وحرية أداء شعائرهم الدينية.

ب ـ الأمويون والعباسيون ومن تلاهم:

• بويع معاوية بن أبي سفيان بالخلافة في مدينة القدس، وكذلك سليمان بن عبد الملك. بنى عبد الملك بن مروان قبة الصخرة المشرفة سنة ٧٢ هـ /٦٩١ م، وأقام الوليد بن عبد الملك المسجد الأقصى عام ٩٠هـ /٧٠٩ م، وبنى فيها الأمويون قصوراً ودوراً لهم. وأما العباسيون فقد زارها بعض خلفائهم: المنصور والمهدي والمأمون وأحدثوا تجديدات في المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وكان الأمن فيها مستتباً في العهدين الأموي والعباسي.

• ودخلت القدس في حكم الطولونيين حكام مصر من عام ٨٧٨ ـ ٩٠٥م، أي مدة ٢٧ سنة، ثم تلاهم الإخشيديون من عام

٩٣٩ ـ ٩٦٩م، أي مدة ٣٠ سنة، وقد دفن فيها الإخشيديون تبركاً بها، بناء على وصيتهم.

وفي عام ٩٦٩ م دخلت القدس في حكم الفاطميين، وحكموها مدة (١٠١) سنة، ثم انتقلت إلى حكم السلاجقة عام ١٠٧٠م الذين حكموها ٢٦ سنة حتى عاد إليها الفاطميون من جديد مدة ٣ سنوات (١٠٩٦ ـ ١٠٩٩)م.

• وفي العام الأخير من القرن الحادي عشر ١٠٩٩ م احتل الفرنجة القدس وارتكبوا مذبحة شنيعة، ونهبوا ما كان في المسجد الأقصى وقبة الصخرة من كنوز، وحولوا المسجد الأقصى إلى مقر لفرسان الداوية ونصبوا بطريركياً لاتينياً على القدس.

ودامت مملكة القدس اللاتينية /٨٨/ سنة، إذ حرر صلاح الدين القدس، المدينة المقدسة عام ١١٨٧ م بعد انتصاره على الصليبين في معركة حطين، وسمح للفرنجة بمغادرتها، وأعاد للمسيحيين الشرقيين حقوقهم وأوقافهم، وبنى فيها مستشفى ومدارس...

• وبعد وفاة صلاح الدين قام الملك الكامل أحد خلفائه بتسليم القدس إلى الإمبراطور فردريك الثاني ملك الفرنجة ـ ما عدا الحرم الشريف ـ بموجب اتفاق عقده معه عام ١٢٢٩م، وظلت المدينة في أيدي الفرنجة عشر سنوات حتى استردها الملك الناصر داود ابن أخيه عام ١٢٣٩م، كما استقرت تحت الحكم الإسلامي نهائياً عام ١٢٤٤م على يد نجم الدين أيوب ملك مصر.

ودخلت القدس في حوزة المماليك عام ١٢٥٣م، وبقيت في أيديهم حتى دخول الأتراك العثمانيين عام ١٥١٧، وحظيت باهتمام السلطان الظاهر بيبرس والسلطان قلاوون بشكل خاص.

وهكذا تكون مدة الحكم العربي الإسلامي وما تبعه/٨٧٩/سنة (٦٣٨ - ١٥١٧م)

٦ ـ الحكم العثماني:

انتصر السلطان العثماني سليم الأول على المماليك في معركة مرج دابق عام ١٥١٦ م، وفي السنة التالية ١٥١٧م احتل مدينة القدس.

ومن كبار السلاطين العثمانيين سليمان القانوني الذي أقام في القدس عدة إنشاءات، وانتشرت فيها زمن العثمانيين التكايا والروابط والمؤسسات الصوفية. وخضعت القدس بين عامي ١٨٣١ و١٨٤٠م لحكم إبراهيم باشا بن محمد علي حاكم مصر.

وامتد الحكم العثماني حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٧ فكانت مدته /٤٠٠/ سنة (١٥١٧ - ١٩١٧ م)

٧ ـ الغزو الاستعماري والصهيوني:

بتاريخ ١٩١٧/١٢/٩ دخلت القوات البريطانية القدس بقيادة الجنرال اللنبي. وقبل ذلك بقليل في ١٩١٧/١١/٢ كان اللورد

بلفور وزير الخارجية البريطانية قد أعطى اليهود وعداً باسم حكومته ينص على إقامة وطن قومي لهم في فلسطين. وهكذا التقت الحركة الصهيونية بالاستعمار البريطاني الذي وجد فيها أداة يحتاج إليها للحفاظ على مصالحه الاقتصادية والسياسية في الشرق الأوسط والقارتين الإفريقية والآسيوية.

- وتولت الحكومة الإنكليزية الانتداب على فلسطين، وبقيت فيها حتى ١٤ أيار ١٩٤٨ بعد قيام دولة إسرائيل، فكانت مدة الانتداب /٣١/ سنة وبضعة أشهر.

وفي هذه الأثناء جرت أحداث متتالية تهدف إلى إنشاء دولة صهيونية في فلسطين وتهويد القدس وجعلها عاصمة لتلك الدولة. وبين الحربين العالميتين كانت مساعٍ محمومة للمشروع الصهيوني برعاية الدولة المنتدبة بريطانيا، قابلتها مقاومة عربية مستمرة اتخذت أشكالاً متعددة من الإضرابات والثورات والأعمال الفدائية. وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم ١٨١ تاريخ ١٩٤٧/١١/٢٩بتقسيم فلسطين إلى دولتين يهودية وعربية، فرفض العرب هذا القرار، وأعلنت إسرائيل قيام دولتها. وجرت أول حرب عربية إسرائيلية انتهت بهدنة بين إسرائيل وكل من مصر ولبنان وسورية والأردن. واشتركت إسرائيل مع بريطانيا وفرنسا في العدوان الثلاثي على مصر (١٩٥٦). ونشبت الحرب العربية الإسرائيلية الثانية عام

١٩٦٧ فاحتلت إسرائيل القدس العربية وغزة والضفة الغربية وسيناء والجولان. وبعد سبع سنوات قامت الحرب العربية الإسرائيلية الثالثة عام ١٩٧٣ واستعادت مصر سيناء وأبرمت مع إسرائيل اتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٩. وفي عام ١٩٨٢ غزت إسرائيل لبنان ودخلت بيروت.

وفي عام ١٩٨٧ تندلع الانتفاضة الفلسطينية ضد الاحتلال الصهيوني، ويقدم أطفال الحجارة أروع أشكال النضال ضد المحتل الإسرائيلي. وعام ١٩٩١ ينعقد مؤتمر مدريد للسلام عل أساس مبدأ: الأرض مقابل السلام. وتحضره وفود الدول ذات العلاقة برعاية أمريكية وروسية. وفي العام ١٩٩٣ يوقع عرفات اتفاقية أوسلو المجحفة بالحقوق الفلسطينية، وتلتها اتفاقية واي بلانتيشين عام ١٩٩٨ في السياق نفسه. وكذلك عقدت الأردن اتفاقية سلام مع إسرائيل. وتبذل إسرائيل ومؤيدوها جهوداً محمومة مدعومة بالنفوذ الاميركي لتطبيع العلاقات بين البلدان العربية وإسرائيل، وقد أحرزت مع الأسف بعض النجاح، كذلك تمارس الضغوط الشديدة على الفلسطينيين لتقديم المزيد من التنازلات.

إن الجمهورية العربية السورية والجمهورية اللبنانية وقفتا من هذه التسويات المجحفة موقفاً ناقداً لما أدت إليه من خسائر جسيمة، وطلبتا سلاماً عادلاً شاملاً يعيد الحقوق لأصحابها،

ويرتكز على قرارات مجلس الأمن ومبدأ مدريد «الأرض مقابل السلام» دون تفريط بحق من الحقوق.

إن خط التساهل أو لنقل التفريط بالحقوق العربية الفلسطينية الذي انتهجته السلطة الفلسطينية برئاسة عرفات لا يستند إلى أي مبدأ قومي أو وطني أو اخلاقي، بل يتعارض لا مع حقوق الشعب العربي الفلسطيني الطبيعية في أرضه ووطنه وحسب، بل مع الحقوق المنقوصة التي أقرتها الأمم المتحدة بأكثرية مصطنعة، كما يتنافى مع التضحيات الجسيمة التي قدمها وما زال يقدمها الشعب العربي الفلسطيني، ويتجافى مع حق الأمة العربية جمعاء في أرضها وتراثها.

إن هذا الخط المتهاون الذي قدَّم تنازلاته في الخفاء بأوسلو، وتابع تقديمها خفية في استوكهولم لا يفسره إلا التهالك على سلطة زائفة على مزق من الأرض يتنازل عنها العدو المحتل، ولن توفر لأبناء فلسطين ما يطمحون إليه من وطن آمن وعيش كريم.

إن مبدأ «ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة» كان حقيقة على مدى الزمن، وما زال، لأنه يعبر إلى حد بعيد عن طبيعة الإنسان فرداً وجماعة.

فالاحتلال الإسرائيلي لا يقابل إلا بالمقاومة، وهذه المقاومة تتخذ أشكالاً عديدة لا حصر لها، وفق الظروف والإمكانات. وقد مارس الشعب العربي الفلسطيني مقاومته المشروع الصهيوني منذ

ظهوره حتى اليوم. ومن أروع أشكال مقاومة الاحتلال انتفاضته الشعبية التي أشرنا إليها. ولئن لم تستطع تلك الانتفاضة أن تتطور إلى كفاح مسلح يحرر الأرض والإنسان فذلك بسبب ملابسات فلسطينية وعربية ودولية لا مجال لشرحها.

أما المقاومة الشعبية في جنوب لبنان التي تصدت لاحتلال دام قرابة اثنين وعشرين عاماً فقد توج نضالها بالنصر يوم انسحاب قوات الاحتلال الاسرائيلية في ٢٠٠٠/٥/٢٣ م، وذلك بفضل عوامل عديدة ساعدتها على الاستمرار وبلوغ الهدف. ولقد أفعم هذا الانتصار الذي تحقق بدعم عربي سوري نفوس العرب جميعاً بالثقة والأمل والفخار.



جدول رقم (٢)

جدول بالأحداث التاريخية

٣٠٠٠ ق.م	اليبوسيون (جماعة من الكنعانيين) يبنون يبوس أو القدس قرب نبع سلوان في وادي قدرون بفلسطين.
٢٠٠٠ ق.م	العموريون والكنعانيون يسكنون فلسطين.
١٩٠٠ ق.م	هجرة إبراهيم من أور الكلدانيين إلى مدينة حاران بين النهرين.
١٧٢٠ ق.م	هجرة أبناء يعقوب (إسرائيل) من أرض كنعان إلى مصر.
١٢٩٠ ق.م	خروج موسى ببني إسرائيل من مصر إلى سيناء.
١٧٢٠ ـ١٢٩٠ق.م (٤٣٠ سنة)	مدة إقامة بني إسرائيل في مصر.
١٢٥٠ ق.م	دخول بني إسرائيل أرض كنعان: أريحا ، عاي ...
١١٨٥ ق.م	نزول الفلسطينيين على ساحل أرض كنعان وافدين من جزر بحر ايجه وكريت.
١٠٢٥ـ ١٠٠٣ ق.م (٢٢ سنة)	حكم الملك شاول ومقره جبعة شمال القدس.
١٠٠٣ – ٩٧٣ ق.م (٣٠سنة)	حكم الملك داود وفتحه أورشليم عام ١٠٠٠ق.م، واتخاذها عاصمة لملكه.
٩٧٣ – ٩٣٠ ق.م (٤٣ سنة)	حكم الملك سليمان بن داود.
٩٧١ – ٩٦٩ ق.م	بناء سليمان الهيكل بمعونة حيرام ملك صور.

٩٣٠ ق.م	وفاة سليمان وتقسيم المملكة: دولة إسرائيل ودولة يهوذا.
١٠٢٥–٩٣٠ ق.م (٩٥ سنة)	مدة الدولة الإسرائيلية الموحدة.
١٠٠٠ – ٩٣٠ ق.م (٧٠ سنة)	مدة اتخاذ أورشليم عاصمة لدولة إسرائيل.
٩٢٦ ق.م	اجتياح الفرعون تحوتمس القدس ونهبه الهيكل.
٧٢٢ ق.م	استيلاء سرجون الثاني ملك آشور على السامرة .
٥٩٧ ق.م	استيلاء نبوخذ نصر الثاني ملك بابل على أورشليم وتدميره الهيكل (الدمار الأول) وسبيه اليهود إلى بابل.
٥٣٩ ق.م	عودة اليهود من السبي البابلي بمساعدة الملك الفارسي كورش وإعادة بناء الهيكل.
٥٩٧ –٥٣٩ ق.م (٥٨ سنة)	مدة السبي البابلي لليهود.
٥٣٩ –٣٣٢ ق.م (٢٠٧ سنوات)	مدة الحكم الفارسي في فلسطين.
٣٣٢ ق.م	دخول الاسكندر المكدوني مدينة القدس.
٣٣٢ – ١٩٧ ق.م (١٣٥ سنة)	حكم البطالسة (الإسكندرية) لفلسطين.
١٩٧ – ١٤٢ ق.م (٥٥ سنة)	حكم السلوقيين (أنطاكية) لفلسطين.
١٦٨ ق.م	عصيان يهودي قمعه أنطوخيوس الرابع السلوقي ودمر الهيكل (الدمار الثاني).
١٣٥ ق.م	ثورة اليهود المكابيين على السلوقيين وحصولهم على حكم ذاتي.
١٣٥ – ٧٦ ق.م (٥٩ سنة)	مدة الحكم الذاتي المكابي الحسموني.

٦٣ ق.م	استيلاء القائد الروماني بومبيوس على القدس وفلسطين.
٣٧ ق.م	تنصيب الرومان هيرودس الآدومي ملكاً على الجليل ويهوذا. وسَّع الهيكل وحصنه بسور (حائط المبكى) عام ٢٠ ق.م.
٠ م	ولادة السيد المسيح في بيت لحم اليهودية.
٤	موت هيرودس وعودة السيد المسيح من مصر.
٢٧ م	معمودية السيد المسيح في نهر الأردن .
٣٠ م	محاكمة السيد المسيح وصلبه وقيامته وصعوده.
٣٥ م	تحول بولس (شاول) إلى المسيحية قرب دمشق.
٦٦-٧٠ م	ثورة اليهود ضد الرومان والتي قمعها القائد تيطس ودمّر الهيكل (الدمار الثالث) وشتّت اليهود في أنحاء الأرض.
١٣٢ - ١٣٥ م	ثورة اليهود الأخيرة ضد الرومان بقيادة باركوبا والتى قمعها الإمبراطور ايليوس هادريانوس وسمى القدس «ايليا كابيتولوينا»
٣٠٥ م	قيام الدولة البيزنطية في القسطنطينية.
٣١٣ م	تحول الإمبراطور قسطنطين إلى المسيحية ومرسوم ميلانو.
٦٣ ق.م ٣٠٥ م (٣٦٨ سنة)	مدة الحكم الروماني لفلسطين.
٦١٣ م	اجتياح كسرى الثاني الفارسي للقدس وفلسطين واحتلالها مدة ١٥سنة .
٦٢٨ م	استعادة الإمبراطور هرقل البيزنطي القدس.

٣٠٥ ـ ٦٣٦ م (٣٣١ سنة)	مدة الحكم البيزنطي لفلسطين.
٦٣٨ م	الفتح العربي الإسلامي ـ دخول الخليفة عمر بن الخطاب القدس وتسلمه مفاتيحها من البطريرك صفرونيوس وتسليمه البطريرك العهدة العمرية.
٦٩١ م	بناء الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان قبة الصخرة.
٧٠٩ م	بناء الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك المسجد الأقصى.
٧٥٠– ٨٧٨ م	الخلفاء العباسيون يهتمون بالقدس وزارها عدد منهم وأدخلوا تجديدات على المسجد الأقصى وقبة الصخرة.
٨٧٨ – ٩٠٥ م (٢٧ سنة)	دخول فلسطين في حوزة الطولونيين بمصر.
٩٣٩ – ٩٦٩ م (٣٠ سنة)	دخول فلسطين في حوزة الإخشيدين بمصر.
٩٦٩ – ١٠٧٠م (١٠١ سنة)	دخول فلسطين في حوزة الفاطميين بمصر.
١٠٧٠ – ١٠٩٦م (٢٦ سنة)	دخول فلسطين في حوزة السلاجقة الأتراك.
١٠٩٦ – ١٠٩٩م (٣ سنوات)	عودة حكم الفاطميين لفلسطين والقدس.
١٠٩٩ م	احتلال الفرنجة مدينة القدس (غودفروا دي بويون: حامي القبر المقدس وبودوان الأول: ملك أورشليم) ارتكاب مذبحة شنيعة.
١٠٩٩ – ١١٨٧ م (٨٨ سنة)	مدة الحكم الفرنجي الصليبي للقدس.
١١٨٧ م	تحرير صلاح الدين الأيوبي للقدس بعد معركة حطين.
١٢٢٩ م	تسلم الإمبراطور فريدريك الثاني القدس من الملك الكامل ـ ما عدا الحرم الشريف ـ

(١٠ سنوات)	مدة بقاء القدس بيد الفرنجة.
١٢٣٩ م	استرداد الملك الناصر ابن أخي الملك الكامل القدس نهائياً.
١٢٥٣ م	دخول القدس في حوزة المماليك.
٦٣٨ – ١٥١٧ م (٨٧٩ سنة)	مدة الحكم العربي الإسلامي لفلسطين والقدس.
١٥١٧ م	استيلاء العثمانيين الأتراك بقيادة السلطان سليم الأول على القدس.
١٨٣١– ١٨٤٠ م (٩ سنوات)	دخول القدس في حكم إبراهيم باشا بن محمد علي حاكم مصر.
١٥١٧ – ١٩١٧م (٤٠٠ سنة)	مدة الحكم العثماني لفلسطين والقدس تخللتها مدة حكم إبراهيم باشا (٩) سنوات.
١٨٥٥ م	قيام موسى مونتيفيوري بأول توطين لليهود خارج أسوار القدس.
١٨٩٧ م	انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال بسويسرا.
١٩١٧ م (٢/١١)	صدور وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا ، باسم حكومته، بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.
١٩١٧ م (٩/١٢)	دخول الجيش البريطاني القدس بقيادة الجنرال اللنبي، باسم الحلفاء. اتفاقية سايكس بيكو وتنكر الحلفاء لوعودهم للعرب.
١٩٢٠ م	تسمية اللورد هربرت صموئيل اليهودي مفوضاً سامياً بريطانياً لفلسطين .

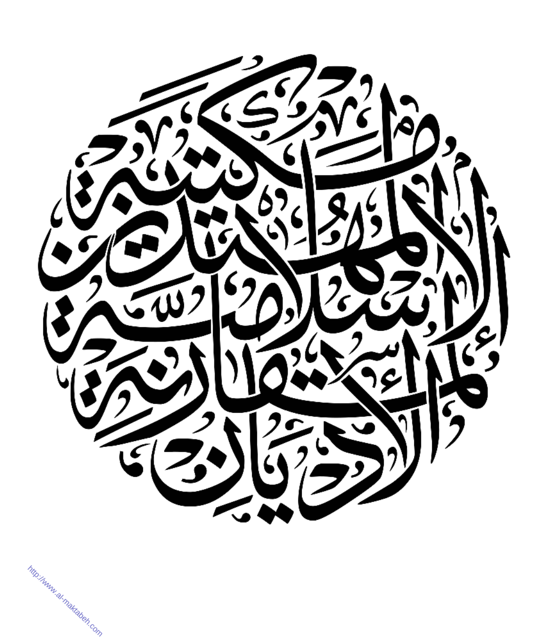
١٩٢٠ – ١٩٤٦ م	المقاومة العربية للمشروع الصهيوني الاستيطاني ولا سيما في أعوام ١٩٢٠ و ١٩٢٩؛ ١٩٣٦، ١٩٣٩.
١٩٤٧ م (١١/٢٩)	الجمعية العمومية للأمم المتحدة تصدر قراراً برقم ١٨١ وتاريخ ١٩٤٧/١١/٢٩ بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية .
١٩٤٨ م (٤/٩)	مذبحة دير ياسين غرب القدس (٢٥٤) قتيلاً.
١٩٤٨ م	انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين في ١٩٤٨/٥/١٤وإعلان إنشاء دولة إسرائيل في ١٩٤٨/٥/١٦، وحرب عربية إسرائيلية (الحرب الأولى).
١٩٤٩ م	توقيع اتفاقيات هدنة بين إسرائيل وبين مصر ولبنان والأردن وسورية.
١٩٥٠ م (١/٢٣)	إعلان إسرائيل القدس عاصمة لها خلافاً لقرار الأمم المتحدة.
١٩٥٠ م (٤/٢٤)	قيام الأردن بضم الضفة الغربية إليها.
١٩٥٠ م (٧/٢٠)	مصرع الملك الأردني عبد الله في المسجد الأقصى بالقدس.
١٩٥٦ م (١٠/٢٩)	العدوان الثلاثي البريطاني ـ الفرنسي ـ الاسرائيلي على بور سعيد بمصر.
١٩٦٤ م	إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية.

١٩٦٧ م (٦/٥)	الحرب الإسرائيلية العربية (الحرب الثانية) واحتلال إسرائيل القدس الشرقية والضفة الغربية وغزة وسيناء والجولان.
١٩٦٧ م (١١/٢٢)	صدور القرار ٢٤٢ عن مجلس الأمن الدولي بطلب انسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة.
١٩٦٨ م (٣/٢١)	معركة الكرامة في أغوار الأردن.
١٩٦٩ م (٢/٣)	انتخاب ياسر عرفات رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية.
١٩٧٠ م (٩/١٧)	القتال الأردني الفلسطيني في الأردن (أيلول الأسود).
١٩٧٢ م	طلبت المنظمة العالمية للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) من إسرائيل الامتناع عن كل تغيير في طبيعة مدينة القدس الديموغرافية والثقافية.
١٩٧٣ م (١٠/٦)	الحرب الإسرائيلية العربية (الحرب الثالثة) عبور مصر قناة السويس ومعارك سورية ناجحة في الجولان وجبل الشيخ.
١٩٧٣ م (١٠/٢٢)	صدور قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٣٣٨ بوقف إطلاق النار وتنفيذ إسرائيل انسحابها من الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ .
١٩٧٤ م (١١/٢٢)	الأمم المتحدة تعترف للشعب الفلسطيني بحق تقرير المصير.
١٩٧٦ (٢٤ ـ ٥/٣٠)	الكتائب تهاجم مخيم تل الزعتر بلبنان.
١٩٧٧ م (١١/١٩)	زيارة الرئيس المصري أنور السادات للقدس وخطابه في الكنيست.

١٩٧٩ م (٣/٢٦) (٨/٢١)	توقيع معاهدة كامب ديفيد بين السادات وبيغن برعاية الولايات المتحدة. محاولة إحراق المسجد الأقصى.
١٩٨٠ م (٧/٣٠)	إسرائيل تصدر قانوناً بضم القدس العربية إليها.
١٩٨٢ م (ايلول)	حدوث مجزرة مخيمي صبرا وشاتيلا بيد الميليشيات اللبنانية وبحضور القوات الإسرائيلية التي اجتاحت لبنان وحاصرت بيروت ودخلتها.
١٩٨٧ م (٨/ك١)	اندلاع الانتفاضة الفلسطينية ضد الاحتلال الصهيوني.
١٩٩١ م (٣٠/ت١)	انعقاد مؤتمر مدريد للسلام تحت الرعاية المشتركة للولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي.
١٩٩٣ م	توقيع عرفات ورابين إعلان مبادئ تلته مفاوضات سرية بشأنه في أوسلو حول قيام حكم ذاتي فلسطيني محدود في الضفة وغزة.
١٩٩٣ (٩/١٣)	توقيع اتفاقية أوسلو بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية.
١٩٩٤ م (أيار)	تسلم السلطة الفلسطينية قطاع غزة وأريحا بموجب اتفاق أوسلو.
١٩٩٥ م (أيلول)	عرفات ورابين يوقعان في واشنطن اتفاقاً مؤقتاً لتوسيع الحكم الذاتي في الضفة الغربية .
١٩٩٦ م	حكومة إسرائيل برئاسة شمعون بيريز ترتكب مجزرة قانا في جنوب لبنان.

١٩٩٦ م	توقف مفاوضات السلام على المسارين السوري واللبناني.
١٩٩٨ م	ياسر عرفات ونتانياهو يوقعان على اتفاق واي بلانتيشن الذي قدم فيه الجانب الفلسطيني تنازلاً كبيراً بإلغائه الميثاق الوطني الفلسطيني.
٢٠٠٠ م (٥/٢٣)	خروج اسرائيل من لبنان بعد احتلال جنوبه ٢٢ عاماً.




مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان

الفصل الثاني

العقيدة الصهيونية

تمهيد:

كان لابد للحركة الصهيونية، وهي حركة استيطانية غازية، من أن تصطنع غطاءً ايديولوجياً تجعل منه ستاراً تغطي به ما تقدم عليه من عدوان على الحق، واغتصاب للأرض، واعتداء على الإنسان العربي في فلسطين، وتتخذه ذريعة لتضليل اليهود المقيمين في بلدان عديدة في العالم منذ مئات السنين، وجعلهم يهجرون البلدان التي ولدوا فيها وعاشوا، مثلما ولد فيها وعاش آباؤهم وأجدادهم، وينتقلون إلى فلسطين — أرض الميعاد — وتستخدمه وسيلة لتهجير سكان فلسطين العرب من مدنهم وقراهم ومزارعهم التي يسكنونها ويعملون فيها، على وجه الاستمرار منذ مئات السنين، إلى حيث يحطون رحالهم في أقطار عربية مجاورة أو غير مجاورة أو أقطار أجنبية، ويضطرون، في أغلب الأحيان، بفعل هذه الهجرة القسرية إلى العيش في مساكن مؤقتة أو خيام تفتقر إلى أبسط شروط السلامة والصحة والنظافة. وتحملهم هذه

الظروف القاسية على ممارسة الأعمال الشاقة، فيعيشون في أدنى درجات السلم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، ويستعينون بالمعونات التي تأتيهم من الحكومات العربية والأجنبية والمنظمات الدولية.

إن هذا الغطاء هو ما نسميه العقيدة الصهيونية. وتقوم هذه العقيدة على فكرة العودة إلى «أرض الآباء والأجداد»، أي إلى فلسطين «أرض كنعان» التي يزعمون أن الله وعدهم بها منذ القدم، وذلك تمهيداً لإقامة دولة إسرائيل من جديد وإعادة بناء هيكل سليمان في أورشليم ـ القدس ـ.

وهكذا وجد العالم نفسه إزاء ادعاءين، أصبحا بفضل الجهد المتواصل الذي بذله الصهاينة وأنصارهم من غير اليهود دافعاً مؤثراً ومحركاً قوياً لأكبر وأوسع حركة استعمار واستيطان في العصر الحديث. وهذان الادعاءان هما: الحق التاريخي، والوعد الإلهي.

١ـ الحق التاريخي:

هل كان لليهود قديماً دولة ثابتة ومستمرة، تصح المطالبة بإحيائها، مهما بلغت المدة الزمنية التي انقضت على اندثارها؟

قد يبدو هذا التساؤل غريباً لأن الفكر الصهيوني الذي ملأ الكتب والمجلدات، وشغل الصحافة وكل وسائل الإعلام في القرن العشرين، متسلحاً بالنفوذ السياسي والثروة المالية والقدرة الاقتصادية، قد استطاع النفاذ إلى عقول الكثيرين في أوروبا الغربية وأمريكا، وإقناعهم بأن لليهود حقاً تاريخياً مؤكداً في فلسطين، انطلاقاً من أنه كانت لهم في الزمن القديم، دولة هناك، بل صار الأمر شبه بديهية يتم التسليم بها دون تحقيق أو نقاش.

وأود أن أعرض هذا الموضوع، بكثير من التجرد والموضوعية.

إن للدولة، اعتماداً إلى وقائع التاريخ واستناداً إلى القوانين الدولية شروطاً بل دعائم أساسية تقوم عليها، وهي السكان والأرض والسيادة أو السلطة السياسية. فهل توفرت هذه الشروط والدعائم لدولة يهودية في الزمن الغابر؟

آ ـ السكان: لم يكن العبرانيون أو الإسرائيليون أو اليهود يشكلون كامل سكان فلسطين أو كامل مدينة القدس في يوم من الأيام.

لقد كان الكنعانيون وحدهم من عام ٣٠٠٠ ق.م إلى عام ١٢٥٠ ق.م سكان الأرض وأصحابها. جاء في العهد القديم، سفر التكوين (٦/١٢) أن إبراهيم عندما اجتاز أرض كنعان إلى موضع شكيم وإلى بلوطة مورة، كان الكنعانيون حينئذٍ في الأرض. وعندما جاء بنو اسرائيل من مصر، وأرادوا دخول أرض فلسطين قضوا (٢٥٠) سنة حتى وصلوا من أريحا إلى يبوس (أورشليم) لأن الأرض تعج بالسكان، وكان اختراقهم لها شرساً وحشياً أجروا فيه سيلاً من الدماء وأكواماً من الدمار.

وفي عهد ملوكهم الثلاثة: شاول وداود وسليمان الذين امتدت سلطتهم أقل من قرن من الزمن، شغل بنو اسرائيل بمقاتلة الفلسطينيين. وفيما بعد قال حزقيال مخاطباً أورشليم: «معدِنُك ومولدك من أرض الكنعانيين وأبوك عموري وأمك حثية» سفر حزقيال (٣/١٦). إن العموريين والكنعانيين شعب واحد ومن مشاهير ملوكهم في القدس ملكي صادَق الذي عاصر إبراهيم، وادوني صادق آخر ملوكهم. وأما الحثيون فقد ورد ذكرهم لأن الملك سليمان ولدته بتشبع زوجة أوريا الحثي التي أضافها الملك داود إلى نسائه بعد أن أمر بقتل زوجها، حسبما يذكر العهد القديم.

وبعد انقضاء الدولة الموحدة وانقسامها إلى دولتين: دولة اسرائيل في الشمال ومركزها السامرة، ودولة يهوذا في الجنوب

ومركزها أورشليم، تقلص عدد بني اسرائيل بسبب منازعاتهم فيما بينهم وتعرضهم للاضطهاد والقتل على أيدي الفاتحين، ثم مرت فترات زمنية طويلة حرمت عليهم فيها سكنى القدس، ثم تشتتوا في أنحاء الأرض على يد الرومان.

هذا وطيلة الحكم العربي والملوكي والفرنجي الصليبي والعثماني، بداية من منتصف القرن السابع الميلادي حتى منتصف القرن العشرين، أي مدة ثلاثة عشر قرناً متتالياً ونصف القرن كان سكان القدس وفلسطين عرباً، مسلمين ومسيحيين، وبأكثرية مطلقة.

فأي وجود بشري هذا يرتب لليهود حقاً أبدياً وحضوراً سرمدياً في أرض لم تطأها أقدامهم إلا بالعنف والقسوة والدم وكانت تلفظهم مرة بعد مرة.

ب ـ الأرض: استمرت أرض القدس ألفي سنة كاملة ملكاً يبوسياً كنعانياً خالصاً حتى دخلها داود فاتحاً عام ١٠٠٠ ق.م. وبعد ذلك بقي اليبوسيون فيها.

ومن العهد القديم، الحجة عليهم لا لهم، فمن فمهم ندينهم:

جاء في سفر التكوين (٢٣/٤) أن إبراهيم عندما توفيت زوجته سارة اشترى مدفناً لها من عفرون الحثي بحبرون (الخليل)، وقال لبني حث: «أنا غريب ونزيل عندكم، أعطوني مِلْكَ قبرٍ عندكم، فأدفن مَيِّتَتي من أمامي» ودفع ثمن المغارة من ماله.

وجاء في سفر يشوع (٦٣/١٥): «وأما اليبوسيون سكان أورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم، فأقام اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم إلى هذا اليوم»

وجاء في سفر الملوك الثاني (٢٤/٢٤ و٢٥) أن الملك داود عندما أراد أن يبني مذبحاً في أورشليم اشترى الأرض التي اختارها من أصحابها اليبوسيين: «فاشترى داود البيدر من صاحبه أَرَوْنا وابتنى هناك مذبحاً للرب، وأصعد مُحرَقات وذبائح سلامة».

ومثل القدس أرض فلسطين بجملتها، ولا سيما الساحل الذي كان يقيم فيه الفينيقيون والفلسطينيون. إن الخريطة التوراتية الصادرة في الولايات المتحدة الأمريكية «خريطة الكتاب المقدس» تبين أن الإسرائيليين لم يسيطروا قط على الساحل الذي كان في حوزة الفلسطينيين. وكانت من أهم مدنهم هناك أشدود وغزة وعسقلان.

جـ ـ السيادة: عاش العبرانيون وبعدهم بنو إسرائيل حياة قبلية، ولم ينتظموا في دولة إلا بعد إبراهيم بثمانمئة عام تقريباً، ولم يجتمعوا تحت سلطة ملكية إلا /٩٥/ سنة زمن شاول وداود وسليمان، ولم تكن أورشليم عاصمة موحدة لهم سوى /٧٠/ سنة، زمن داود وابنه سليمان.

وبعد ذلك كانت أورشليم عاصمة لسبطين من أسباطهم الاثني عشر مدة /٣٣٣/ سنة، من وفاة سليمان حتى الغزو البابلي،

وبعدها كان لليهود حكم ذاتي في أورشليم مدة (٥٩) سنة بعد الثورة المكابية الحسمونية ضد السلوقيين. وهكذا نجد أن القدس قد عرفت سلطتهم السياسية المحدودة في اتساعها والمضطربة في أمنها مدة ٤٦٢ سنة من أصل خمسة آلاف سنة، وهي نسبة لا تتعدى ٩,٣٪.

فهل هذا مبرر لإحياء دويلة عاشت مدة قصيرة في الزمن الغابر؟

ومع هذه الوقائع التاريخية التي تجعل من الادعاء الصهيوني بالحق التاريخي ادعاءً وهمياً كاذباً، فإن الأخذ به يعرض البشرية لحالات لا يمكن تصورها، إذ يتوجب علينا إذّاك أن نعيد امريكا الشمالية والوسطى والجنوبية واستراليا ونيوزيليندا إلى سكانها الأصليين، من قبائل المايا والأزتيك وغيرهم من الهنود الحمر، ولكان علينا أن نجلي الأتراك عن الأناضول ونعيدهم إلى حيث أتوا، ونعيد الأرض لمن كانوا فيها من قبل، ولحقَّ لنا نحن العرب، بأن نطالب بالأندلس في اسبانيا التي عمرناها ثمانمئة عام، على وجه الاستمرار، ولوجب على العالم أن يلغي التغيرات السكانية والسياسية التي حدثت خلال الزمن على وجه الأرض... وهذا ما لايتصوره عاقل ولا يسيغه منطق، ومن شأنه لو تمَّ كله أو بعضه أن يشيع النزاع والدمار والقتال والخراب في أرجاء المعمورة.

من أجل ذلك كله أو بسببه لم تولد الدولة الصهيونية في عام ١٩٤٨ ولادة طبيعية، بل ولادة صنعية لاشبيه لها.

لقد نشأت عشرات الدول بعد الحرب العالمية الثانية، عندما استطاعت عشرات الشعوب التي كانت خاضعة لدول الاستعمار أن تتحرر وتتخلص من القيد الذي كان يحرمها السيادة الوطنية من احتلال أو انتداب أو حماية، فاعترفت الهيئة الدولية والدول الأعضاء فيها باستقلال هذه الشعوب وسيادتها، واجتمعت لها عندئذٍ شروط الدولة بصورة طبيعية: السكان والأرض والسلطة السياسية. أما دولة اسرائيل فالأرض كانت آنئذٍ في طور الاغتصاب من أهلها، والسكان يجلبون من أنحاء مختلفة من الأرض، من أجناس وجنسيات عديدة ويتكلمون لغات مختلفة ولهم ثقافات متباينة، وأما السيادة فقد منحت لها جزئياً من الجمعية العامة للأمم المتحدة بأصوات دول متحيزة أو مكرهة، وبموجب قرار صدر بأكثرية الأصوات! إن قرار تقسيم فلسطين هذا رقم ١٨١ تاريخ ١٩٤٧/١١/٢٩ لهو شاهد ودليل ساطع على أنه ليس لليهود حق تاريخي أو طبيعي معترف به عالمياً في فلسطين، بل هو قرار أملته الصهيونية العالمية ومن شدَّ أزرها أو سار في ركابها من الدول بدافع من مصالحها.

٢ ـ الوعد الإلهي:

ينص العهد القديم أن الله قد جعل بني إسرائيل شعبه الخاص «الشعب المختار»، وأنه فضلهم على الشعوب الأخرى، وعقد معهم ميثاقاً بأن يعطيهم أرض كنعان وينصرهم على أعدائهم، شريطة أن يتبعوا أوامره ووصاياه.

إنه لما يثير التعجب والدهشة أن يبرم الباري تعالى، وهو مبدع الكون وخالق البشر، ميثاقاً مع بعض مخلوقاته، إذ لايكون العقد والاتفاق إلا بين طرفين متكافئين متساويين. وهل يتقبل العقل أن يقدم الله الأرض والعون لجماعة من الناس لقاء أن يعملوا بمشيئته، ولا سيما أن ذلك سيتم على حساب جماعات أخرى من مخلوقاته.

إن من صفات الخالق الكمال والقدرة والعدل، وهذا منافٍ من حيث الأساس، لمبدأ الوعد والميثاق.

ومع ذلك نرجع إلى العهد القديم نستقرئ نصوصه:

يذكر العهد القديم أن الله أقام ميثاقاً مع ابراهيم الخليل، عندما دعاه من أور الكلدانيين وقال له: «اذهب من أرضك وعشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظِّم اسمك... ولنسلك أعطي هذه الأرض» سفر التكوين (١٢/١-٢و٧).

ويتكرر هذا الوعد عدة مرات: «وقال الرب لإبراهيم ارفع طرفك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً. إن جميع الأرض التي تراها لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد... قم فامشِ في الأرض طولها وعرضها فإني لك أعطيها» سفر التكوين (١٣/١٤ و١٥ و١٧). وفي موضع آخر قال الله لإبراهيم: «أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين لأعطيك هذه الأرض ميراثاً لك» سفر التكوين (١٥/٧). وجاء أيضاً «في ذلك اليوم بتَّ الرب مع إبراهيم عهداً قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات» سفر التكوين (١٥/١٨). وتجلى الرب لإبراهيم وقال له: «أنا الله القدير اسلك أمامي وكن كاملاً» سفر التكوين (١٧/١).

ونلاحظ هنا أن الوعد كان مقيداً بشرط وهو الاتصاف بالكمال.

وقد تجدد هذا الوعد لاسحق بن إبراهيم، ويعقوب بن اسحق، مشروطاً بحفظ أوامر الله ووصاياه ورسومه وشرائعه.

ويرجع بنو اسرائيل من مصر بقيادة موسى بعد غياب (٤٣٠) سنة، فيتجدد الوعد لهم مقيداً بشروط.

«وإذا أدخلك الرب إلهك الأرض التي أنت صائر إليها لترثها واستأصل أمماً كثيرة من أمام وجهك: الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفَرْزيين والحويين واليبوسيين، سبع أمم أكثر منك وأسلمهم الرب إلهك أمام يديك وضربتهم وأبسلتهم

إبسالاً، لا تقطع معهم عهداً ولا تـأخذك بهـم رأفـة» سـفر تثنيـة الاشتراع (١/٧ و٢).

وجاء أيضاً: «فاحفظ وصايا الرب إلهك وسر في طريقه واخشَهُ» سفر التثنية (٦/٨)، وفي السفر نفسه (١١/٨): «احذر أن تنسى الرب إلهك ولا تحفظ وصاياه وأحكامه ورسومه التي أمرك بها اليوم».

ولكن لِمَ هذا التأكيد والتخصيص بشأن أرض كنعـان، وبالتـالي القسوة والشِّدة على كل ساكنيها؟ لنسمع ما جـاء في سـفر التثنيـة (٧/٨ ـ ١٠): «فإن الرب إلهك مُدْخِلُكَ أرضاً صالحة، أرضاً ذات أنهار ماء وعيون تتفجّر من غَورها ونجدهـا، أرض حنطـة وشـعير وكرم وتين ورمان، أرض زيت وعسل، أرضاً لا تأكل فيها خـبزك بتقتير ولا يُعْوِزك فيها شيء، أرضـاً مـن حجارتهـا الحديـد ومـن جبالها تقطع النحاس، فتأكل وتشبع وتبارك الرب إلهـك لأجـل الأرض الصالحة التي أعطاكها».

إذن، في ضوء هذه النصوص، كان وعـد وميثـاق: أرض تفيـض رزقاً وخيرات مقابل حفظ وصايا الرب وأحكامه ورسومه وشـرائعه وبلوغ الكمال.

لقـد وفـى الله بوعـده وميثاقـه، فقـد مكّـن بـني إسـرائيل مـن الخروج من مصر وحكم فرعون، ومكنهـم مـن التغلـب علـى أهـل الأرض، وإن كانوا قد اقترفوا الآثام وتجاوزوا الحدود بقيادة يشوع بن نون، ثم مكنهم من الرجوع من بابل وسبي نبوخذ نصر.

ولكن هل وفى بنو إسرائيل واليهود بما عليهم ونفذوا ما طلب منهم؟

لقد أنذرهم الله مراراً وتكراراً: «وإذا ولدتم أولاداً وأولاد أولاد وأطلتم الزمان في الأرض (كنعان) وفسدتم وصنعتم تمثالاً منحوتاً صورة شيء ما وفعلتم الشر في عيني الرب إلهكم لإغاظته، أشهد عليكم اليوم السماء والأرض أنكم تبيدون سريعاً عن الأرض التي أنتم عابرون الأردن كي تمتلكوها لا تطيلون الأيام عليها بل هلاكاً تهلكون» سفر التثنية (٤/٢٥-٢٦).

ولكن ما الذي حصل؟

لقد تنكروا لكل أمر وكل وصية وكل شريعة، فعاقبهم الله على آثامهم. ولنسمع أحد رجال اللاهوت المسيحي يقول في ذلك: «لقد أمعن الشعب في صنع الشرور واقتراف الآثام، فأخطؤوا ضد الله وعبدوا المخلوق ضد الخالق» ومن يطالع أسفار العهد القديم التاريخية مثل أسفار القضاة وصموئيل الأول والثاني والملوك الأول والثاني وأخبار الأيام الأول والثاني يدرك إلى أي حد وصل الشعب الإسرائيلي من التدهور والانحلال الديني والأخلاقي. لذلك استحق اللعنة بدلاً من البركة والغضب والعقاب بدلاً من الإحسان والوفاء.

إن الأرض هي ملك لله «لأنه لي الأرض وأنتم غرباء ونزلاء عندي» لاويين (٢٥/٢٣)، وأرض كنعان لم تعطَ للشعب بدون قيد

أو شرط. لقد أعطيت وفق شروط محددة وواضحة، فالإخلال بتلك الشروط يؤدي إلى استرجاع الأرض من قبل الله. إن هذا هو ما حدث فعلاً. ففي عام ٧٢١ ق.م سبى الاشوريون المملكة الشمالية أي مملكة إسرائيل: «وصعد ملك آشور على كل الأرض وصعد إلى السامرة وحاصرها ثلاث سنين، وفي السنة التاسعة لهوشع أخذ ملك آشور السامرة وسبى إسرائيل وأسكنهم في حلح وخابور نهر جوزان وفي مدن ماري» سفر الملوك الرابع ١٧/٥-٦. أما مملكة يهوذا فقد سباها البابليون ودمروها على ثلاث دفعات في الأعوام ٦٠٥ و٥٩٧ و٥٨٦ ق.م ـ سفر الملوك الرابع (٢٤/١٣-١٤ و٢٠ و٢٥/٨-١٢ و٢١).

وعندما جاء السيد المسيح حاملاً رسالة الخلاص، ظن اليهود المتطلعون دوماً إلى المال والسلطة أنه سيقيم لهم ملكاً بالسيف، فلما وجدوه داعية محبة وسلام خاب ظنهم، وائتمروا به، وعملوا للتخلص منه.

لقد وجدهم غارقين في الضلالة، يعبدون المال، ويتاجرون في هيكل الرب، وينصرون الباطل، ويستعبدون الضعيف. قلوبهم مليئة بالخبث وشفاههم تنطق بالناموس. ويسترون خطاياهم بادعائهم أنهم أبناء إبراهيم، فقال لهم موبخاً: «لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم عملتم أعمال إبراهيم... أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا» يوحنا (٨/٣٩و٤٤).

أما يوحنا المعمدان النقي الصديق فقد خاطبهم بقسوة على قدْر أفعالهم: «يا أولاد الأفاعي من أراكم تهربون من الغضب الآتي... إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم» متى (٣/٧-٩).

وبمثل ذلك جاء القرآن الكريم: «... وضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ والمسكنة وَبَاؤُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ذَلِكَ بأنهم كانوا يكفرونَ بآياتِ الله ويقتلون النبيين بغيرِ حق، ذلك بما عَصَوا وكانوا يعتدون» سورة البقرة الآية (٦١).

وأورد فيما يلي تعليلاً أو تفسيراً لذلك الوعد أو العهد:

هاجر إبراهيم من أور الكلدانيين وأقام بحاران، ثم انتقل إلى أرض كنعان فمصر فأرض كنعان ثانية، حيث مات ودفن. لقد كان آرامياً من سكان أور السومرية، وبعد مغادرتها لم يكن له مستقر فكان متنقلاً جوالاً. جاء عن يعقوب: «ثم تجيء فتقول بين يدي الرب إلهك إن أبي كان آرامياً تائهاً فهبط مصر ونزل هناك في رجال قلائل فصار أمة عظيمة شديدة كثيرة...» سفر تثنية الاشتراع (٢٩/٥).

فإبراهيم الخليل آرامي الأصل، هو وأهله فصيل من آرام، وآرام شعب من الشعوب العربية القديمة التي سميت سامية باصطلاح خاطئ. إنه عبراني من عبور النهر، وحمل أولاده وآله هذا الاسم حتى ما بعد يعقوب الملقب بإسرائيل. وأبناء يعقوب الاثنا عشر

هم وذريتهم بنو إسرائيل حتى ما بعد الملك سليمان وانقسام الدولة وقيام دولة يهوذا في أورشليم، فسمي أهلها يهوداً نسبة إليها. هذا مع اختلاط هؤلاء القوم بغرباء كثيرين من أجناس أخرى، سواء أكان ذلك عند خروجهم من مصر، أو عند عودتهم من بابل، أو عن طريق زواجهم بأجنبيات.

إن اليهودية دين وشريعة وليست جنساً وقومية، خلافاً لما يدعيه الصهاينة.

لم تجد هذه الجماعة أرضاً خالية من الناس يقيمون فيها، فتنقلوا في أرض كنعان وأحبوا غناها وخيراتها، ولما عادوا من مصر إليها بعد اغتراب دام /٤٣٠/ سنة، وجدوها تزخر بالكنعانيين وفروع كنعان اليبوسيين والعموريين والمؤابيين والعماليق.. ثم الفلسطينيين... فاشتد جزع بني إسرائيل وقوي غيظهم وأحبطت آمالهم، فانبرى قادتهم يبثون فيهم الحميّة ويدفعونهم للاستيلاء على أرض كنعان ويقنعونهم بالصمود والصبر والقتال وضرب الأعداء، سكان الأرض، بلا رحمة.

لقد كانت هذه الوعود وسيلة لتبديد مخاوف بني إسرائيل من اقتحام الأرض ووسيلة لزرع الجرأة في نفوسهم تجاه الكنعانيين وسائر سكان الأرض، ودفعهم لانتزاعها بالقوة وبأي أسلوب كان.

كانت الوعود شيئاً نفسياً ابتدعوه لا إرادة إلهية، لأن الله لا يَخُصُ شعباً بأرض يغتصبها من شعب آخر، ولا يرضى عن القتل والتدمير والإبادة.

٣ ـ هوية الدولة الصهيونية:

إتماماً لتحليل ظاهرة قيام دولة إسرائيل الحالية، بعد انقضاء دويلة إسرائيل التاريخية قبل ما يقارب ألفين وأربعمئة سنة، لم يكن فيها لليهود في فلسطين أية سلطة، بل حتى وجودهم كان ضئيلاً لا يعتد به، نورد بعض الأمور التي تتعلق بتشكل هذه الدولة وأبرز سماتها وخصائصها.

١ ـ وعد بلفور:

يعد وعد بلفور، في نظر الصهاينة وأقطاب الاستعمار الأساس القانوني الذي قامت عليه إسرائيل، فما هو هذا الوعد؟

جاء هذا الوعد بصورة رسالة وجهها بلفور وزير خارجية بريطانيا، وهو يهودي، بتاريخ ١٩١٧/١١/٢ إلى اللورد روتشليد اليهودي كذلك، ونصه ما يلي: يسرني جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك أنها تنظر بعين الرضا والارتياح إلى المشروع الذي يراد به أن ينشأ في فلسطين وطن قومي لشعب اليهود، وتفرغ خير مساعيها لإدراك هذا الغرض. وليكن معلوماً أنه لا يسمح بإجراء شيء يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية

التي للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين الآن أو بالحقوق التي يتمتع بها اليهود في البلدان الأخرى وبمركزهم السياسي فيها.

ويمكن إيراد الملاحظات التالية بشأنه:

آ ـ إنه وعد يقدمه مسؤول بريطاني باسم حكومته إلى شخص عادي لا صفة رسمية له.

ب ـ إنه وعد يقدمه رجل يهودي إلى رجل يهودي آخر، وهذا ما يثير الشبهات.

جـ ـ إنه وعد يصدر من قبل بريطانيا بجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود، قبل أن تكون بريطانيا منتدبة عليها ولا صلة لها بها، فهو كمن يعطي أرضاً لا يملكها إلى آخر لا حق له فيها.

د ـ إنه وعد يسمي اليهود شعباً، ولم يكونوا آنذاك سوى أقليات دينية تعيش في دول ومجتمعات متعددة، ويسمي الشعب العربي الفلسطيني طوائف غير يهودية في فلسطين.

فهل تكون هذه الوثيقة صكاً شرعياً قانونياً، أم جريمة اغتصاب موصوفة؟ يقول أحد المؤرخين: «إن انكلترا سرقت فلسطين في ١٩١٧/١١/٢ وباعتها لليهود دون أن يكون لها حق أو شبه حق في هذا البيع، وإنها عبثت بجميع القوانين الدولية والخاصة».

أضف إلى ذلك أن بريطانيا إذ أعطت هذا الوعد فقد نقضت في الوقت نفسه عهداً رسمياً أبرمته مع الشريف حسين عام ١٩١٥ـ

١٩١٦ بموجب معاهدة مكماهون ـ الحسين تقضي باستقلال بلاد الهلال الخصيب وشبه الجزيرة العربية ووحدتها، مع الاعتراف بشيء من النفوذ في سواحل سورية ولبنان لفرنسا، وفي العراق لانكلترا، متعهدة باستقلال فلسطين ضمن البلدان التي شملتها هذه المعاهدة. وكذلك نقضت اتفاقاً آخر أجرته مع فرنسا وهو اتفاقية سايكس بيكو في ١٦/٣/١٩١٦ التي تعطي لانكلترا وفرنسا مناطق تحكمها في بلاد الشام، ولكنها تجعل فلسطين تحت إدارة دولية يعين شكلها بالاتفاق مع روسيا والحلفاء والشريف حسين.

ولكن، آخر الأمر عزمت بريطانيا على التنكر للعرب وللمواثيق والاتفاقات التي أبرمتها، وعقدت حلفاً مع الصهيونية العالمية، فأعطت وعد بلفور ثم أتبعته بانتدابها على فلسطين، وعينت أول مندوبٍ سامٍ لها فيها هربرت صموئيل، وهو يهودي صهيوني شرع في الحال في تهويد فلسطين وإعداد العدة لإقامة دولة إسرائيل.

٢ ـ قرار التقسيم:

بعد أن أدت بريطانيا مهمتها المشؤومة والشائنة في فلسطين مدة تزيد على ثلاثين سنة، سعت فيها بكل ما أوتيت من قوة لتمكين اليهود من تثبيت أقدامهم على حساب حقوق أهليها، أعلنت أنها تترك للمنظمة الدولية حق النظر في مستقبل الحكم في فلسطين. وفي ٢٨ نيسان ١٩٤٧ عقدت الجمعية العمومية للمنظمة الدولية جلسة خاصة في نيويورك لبحث قضية فلسطين، فتقرر

تشكيل لجنة دولية للتحقيق في المشكلة الفلسطينية وتقديم تقرير عنها في مدة أقصاها شهر أيلول ١٩٤٧.

تشكلت هذه اللجنة من إحدى عشرة دولة، وعين القاضي السويدي ساندستروم رئيساً لها. وبعد المناقشة انقسمت اللجنة إلى فريقين أحدهما يمثل الأكثرية ويقول بالتقسيم وثانيهما ويمثل الأقلية يقول بإقامة دولة موحدة على أساس فيدرالي.

وفي ٣ أيلول ١٩٤٧ كلفت المنظمة لجنة فرعية لدراسة توصيات الجانبين. وبعد ضغوط مورست على هذه اللجنة أقرت مبدئياً فكرة التقسيم، وأحالت الموضوع إلى لجنة فرعية أخرى للبت فيه. وطبقاً لهذا المشروع جعلت مدينة القدس دولية.

وفي ١٩٤٧/١١/٢٦ بدأت مناقشة الموضوع في الجمعية العمومية للأمم المتحدة، وطرح مشروع التقسيم على التصويت، بعد أن سقطت المشروعات الأخرى فقبل بموافقة ٢٥ دولة ضد ١٣ وامتناع ١٧ دولة وتغيب دولتين.

وبما أن المشروع يحتاج إقراره إلى موافقة ثلثي الأعضاء، فقد أرجئ التصويت إلى ١٩٤٧/١١/٢٩ وبدأ الصهاينة والأمريكيون يبذلون جهداً مستميتاً، ويمارسون ضغطاً متزايداً على مندوبي الدول، حتى جاءت النتيجة بموافقة ٣٣ دولة ومعارضة ١٣ دولة وامتناع عشر دول وتغيب واحدة. والنتيجة دولة إسرائيلية ودولة عربية وقطاع دولي.

ومما يثير الأسى أن تأييد التقسيم أو حتى الامتناع عن التصويت قد تمّا تحت الإكراه، فقد اعترف روبيرت لوفيت سكرتير وزارة الخارجية الأمريكية بقوله: «إنني لم أتعرض في حياتي كلها إلى مثل الضغط والإغراء اللذين تعرضت لهما خلال الأيام الثلاثة السابقة لطرح قرار التقسيم على التصويت في الجمعية العمومية».

وعندما وقف مندوب دولة هايتي لإعطاء صوته قال والدمع يتساقط من عينيه «إنه ما زال شخصياً عند رأيه الشخصي الخاص بمناصرة الحق ولكنه بوصفه ممثلاً لحكومة هايتي لا يسعه إلا النزول عند أوامرها والموافقة على المشروع».

وعندما انتهى الاجتماع صرح السيد محمد ظفر الله خان وزير خارجية الباكستان مخاطباً الجمعية العمومية للمنظمة الدولية: «لقد سعينا لإحقاق الحق والدفاع عن العدالة، ولكن مساعينا ضاعت أخيراً في التيار الجارف تحت تأثير الضغط غير المشروع والإغراء الشديد».

وهكذا دفعت الدول الاستعمارية المنظمة الدولية الناشئة إلى ارتكاب خطأ فاضح واعتداء صريح على الحقوق الدولية وانتهاك شديد لمبادئ العدالة والإنسانية .

٣ ـ العنصرية الصهيونية:

قامت الحركة الصهيونية على عقيدة غيبية وعصبية عرقية. إن اليهود هم «شعب الله المختار»، هكذا يعلم العهد القديم. ولكن

كتاب التلمود يذهب إلى أبعد من ذلك فيقول: «إن المفاضلة موجودة بين جميع الأشياء، فكما أن الإنسان يعلو البهيمة، كذلك اليهود فهم أرفع شعوب الأرض!». وفي العصر الحديث جاء مفكرو الصهيونية التي امتلات رؤوسهم بمثل هذه التخيلات ليكرروها بأساليب مختلفة.

قال ارلي بيرغر: «إن لليهود الأفضلية المعنوية والفكرية على الشعوب الأخرى، ويمكن أن يكونوا نموذجاً لتحسين البشرية» وقال مناحم بيغن: «يظهر جنس إنساني جديد، جنس لم يكن العالم يعرف عنه شيئاً طوال ألف وثمانمئة عام، جنس اليهود المناضلين».

ونتيجة لهذه العنصرية الصهيونية، قامت إسرائيل باغتصاب الأراضي والأملاك من أصحابها العرب الفلسطينين، وطردتهم من مدنهم وقراهم، وأحلت محلهم مهاجرين يهوداً وفدوا من جهات الأرض الأربع، في وقت صار فيه أصحاب الأرض «لاجئين» يعيش أكثرهم تحت الخيام في أسوأ الظروف الاجتماعية والصحية.

وتتجلى هذه العنصرية، ضد العرب، بمظاهر عديدة متنوعة، فقانون العودة يمنح حقوق الجنسية الإسرائيلية لكل يهود العالم ولا يشمل العرب الفلسطينيين الذين هم السكان الأصلاء. ومن مظاهرها إجبار العرب على البقاء حيث يسكنون، ولا يسمح لهم بمغادرة أماكنهم إلا بتصريح لا يعطى لهم إلا بعد إجراءات معقدة

وصعبة... والتفصيل في هذا يطول، إذ ثمة العشرات من القوانين الجائرة بالنسبة للعرب، كما أن النظرة السياسية قائمة على اعتبار العرب جماعة غير مساوية لليهود.

وفي إسرائيل تفرقة عنصرية أخرى بين اليهود أنفسهم، بين اليهود الغربيين (الأشكينازيم) واليهود الشرقيين (السفارديم)، وينظر اليهود المنحدرون من أصل أوربي إلى اليهود الذين هاجروا إلى إسرائيل من البلدان العربية والمتوسطية والشرقية نظرة استعلاء واستخفاف. وقد امتزج التعصب العرقي بتعصب طبقي، فالغربيون أغنى من الشرقيين وأعلى دخلاً. قالت غولد مائير في أحد الأيام: «إذا لم تعالج إسرائيل مشاكلها الاجتماعية بحزم وتصميم فإن خطر نشوب حرب أهلية بين من لايملكون شيئاً وبين من يملكون كل شيء سيظل ماثلاً».

إن اليهودية دين وليست قومية، ولكن السياسة الصهيونية تحاول أن تحول الجماعة اليهودية إلى قومية متعصبة، ولاسيما ضد العرب. يقول عضو الكنيست مئير فلنر: «إن التربية الصهيونية في إسرائيل تسعى لترسيخ مشاعر التعالي القومي والعنصرية ومعاداة العرب وإنكار حقوق الآخرين» وقال الملازم الأول شوكي كوهين: «إن المستوطنين اليهود يتصرفون بطريقة حقيرة مع العرب، ويستخدمون القانون حسب أهوائهم، ويفرضون النظام كما يحلو لهم تحت تهديد السلاح».

إن العنصرية الصهيونية ليست شعوراً قومياً سليماً، بل هي حالة مرضية ومصنوعة، غايتها إذكاء شعور العداء ضد العرب، وإعداد الجنود لارتكاب المذابح دون تأنيب ضمير مثلما جرى في قانا.

إن الطابع العنصري للصهيونية لم يعد خافياً على أحد في العالم رغم محاولات التمويه والتضليل. وقد حملت هذه الصفة الواضحة للصهيونية، الجمعية العامة على اتخاذ قرار في شهر تشرين الثاني عام ١٩٧٥ يعتبر الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية والتمييز العنصري، وإن كانت هذه الجمعية قد عادت عنه بتأثير ضغوط شديدة.

إن الصهيونية في جوهرها نازية جديدة. قال المؤرخ البريطاني توينبي: «إن الحركة الصهيونية والحركة النازية سواء، في ادعاء الصفة العنصرية الباطلة».

وإذا اتفقت النازية والصهيونية في المبدأ: الأولى قالت بالتفوق العنصري ونقاء الدم. والثانية قالت بالشعب المختار والجنس البشري الجديد، وفي الهدف: الأولى أرادت تحقيق ألمانيا الكبرى، والثانية تريد إنشاء اسرائيل الكبرى، من النيل إلى الفرات، فقد اتفقتا أيضاً في الوسيلة: استخدام العنف وارتكاب أقسى أشكال القتل والتعذيب والتشريد والاغتصاب والتدمير، بغية تحقيق الهدف المقصود.

ولئن كان الصهاينة يشكون مما لحق بهم من أذىً في ألمانيا في العهد النازي، فإنهم يبالغون مبالغة غير معقولة في مقدار ما أصابهم من قتل من جهة، ويسكتون عن أسباب نقمة النازية عليهم، ويصمتون عن موقف النازية من الجماعات الأخرى غيرهم، في ألمانيا وأوروبا عامة.

وعلى أية حال، فقد تعلم الصهاينة من النازيين دروساً في القسوة والبطش طبقوها على أهل فلسطين العرب، فكانوا تلامذة نجباء للنازيين بل فاقوا أساتذتهم، وأعمالهم شاهدة عليهم، ابتداء من دير ياسين ثم تدمير القنيطرة بسورية وانتهاء بقانا الجليل في لبنان.

وبعد فهل يمكن تصور دولة بلا حدود؟ أجل إن اسرائيل لم ترسم أو تعين حدودها بعد على الرغم من انقضاء نصف قرن أو أكثر على تأسيسها وقيامها.

إن الوعد الموهوم هو الذي مضت عليه قرون تبلغ نحواً من ثمانية وثلاثين قرناً يرن في آذانهم: «... لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات» سفر التكوين ١٥. لقد غذى هذا الوعد المزعوم غريزة الطمع والتوسع عندهم فصاروا أسرى لها.

لنسمع هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية يقول: «الحدود الشمالية جبال كابادوكيا (في تركيا) والجنوبية قناة السويس» إنه

يتطلع إلى امبراطورية! أما بن غوريون فهو يقنع بما جاء في العهد القديم فيقول: فليعلم الجميع أن اسرائيل لن تقنع بحدودها، بل سوف تمتد من الفرات إلى النيل».

وتحتدم شهوة الاغتصاب لدى مناحيم بيغن الإرهابي المعروف فيقول لممثلي الصحافة: «إن حدود اسرائيل هي عند قدم آخر جندي في جيش الدفاع الاسرائيلي» وعندما زاره السادات في ١٩٧٧/١١/١٩ لعرض مشروع سلام معه، عرض مشروعه الخاص الذي نص في بنده الرابع والعشرين على ما يلي: «تتمسك اسرائيل بحقها ومطلبها في السيادة على يهودا والسامرة (الضفة الغربية) وقطاع غزة. إنها أرضنا وهي، بالحق، ملك الشعب اليهودي».

٤ ـ الصهيونية والاستعمار:

رأينا فيما سلف ضعف وتهافت المستند الديني والتاريخي الذي ترتكز عليه الحركة الصهيونية التي تستهدف اغتصاب فلسطين وإقامة دولة اسرائيل.

فما هو إذن المستند الحقيقي لقيام هذه الحركة، وما هو مكمن جرأتها على الحق حتى تصدت، تحت غطاء من المبررات الواهية، لاغتصاب وطن من أهله وجعله موطناً لغرباء متعددي العروق واللغات؟

لقد تشتت اليهود في بقاع الأرض عام (٧٠)م عندما هدم الرومان القدس والهيكل نتيجة ثورة اليهود عليهم، وبقيت فلسطين لسكانها العرب من أموريين وكنعانيين وآراميين وغيرهم من القبائل العربية. وقد أقاموا، حيثما حلوا، في المدن الرومانية والبيزنطية، ثم انتقلوا إلى مدن أخرى في أوروبا، تجذبهم إليها التجارة والمال، وسكنوا في احياء خاصة (غيتويات) بشكل جاليات منغلقة على نفسها، ترفض الاندماج والتجذر في المهاجر لدواعٍ دينية ونفسية واقتصادية، ولبثوا غرباء في تقاليدهم وعاداتهم عن أهل البلدان التي عاشوا بين ظهرانيها، وتصرفوا بأنانية وجشع وقسوة. وتجاه هذا كله لم يرتح لهم الناس في الغرب، وكان موقفهم التاريخي من السيد المسيح المتمثل بإنكارهم له وتعذيبه، ووشايتهم بالمسيحيين لدى الرومان لإبادتهم، حاجزاً نفسياً صلباً، دَعَّمه سلوكهم المشبع بالطمع، وممارستهم الربا الفاحش وغيره من الأمور، حتى تخيل المسيحيون والغربيون، في بعض الحالات أن اليهود سبب ما أصابهم من أوبئة وأمراض!

وقد اتخذ هذا التنابذ بين الغربيين واليهود، طابعاً دموياً أحياناً، مثلما حصل في اسبانيا الكاثوليكية وروسيا القيصرية وألمانيا النازية مما جعل اليهود يبحثون عن منجى من الضيق، متجاهلين أنهم علته.

ومنذ بداية القرن التاسع عشر، تلاقت أطماع الاستعمار، ولا سيما الاستعمار البريطاني في السيطرة على الوطن العربي الكبير اقتصادياً وسياسياً، مع رغبات اليهود المكبوتة التي أججتها الصهيونية. ومن هنا كان المشروع الصهيوني الاستيطاني المدعوم من قبل القوى الاستعمارية في العالم. يقول مكسيم رودنسون المؤرخ والكاتب الفرنسي: «إن تأسيس دولة اسرائيل على الأرض الفلسطينية يعتبر تتويجاً لعملية تطابق مع حركة التوسع الأوربي والأميركي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، تلك العملية التي كان هدفها احلال شعب مكان شعب آخر أو السيطرة على هذا الشعب اقتصادياً أو سياسياً».

وللتدليل على التطابق والترافق والتوافق بين الصهيونية والاستعمار نذكر الوقائع التالية:

١ ـ وضع لويس التاسع، بعد فشل حملته الصليبية، وصية، وكَلَ إلى الغرب تنفيذها. وجاء في الوصية: «العمل على إنشاء قاعدة للغرب في قلب الشرق العربي يتخذها الغرب نقطة ارتكاز له ومركزاً لقواته الحربية ودعوته السياسية».

٢ ـ أقدم نابليون بونابرت، ابن الثورة الفرنسية العاق، وابن البورجوازية الفرنسية البار عام ١٧٩٨ على غزو مصر، مفتاح المنطقة العربية. وإذّاك نشر عام ١٧٩٩ في صحيفة غازيت ناسيونال الرسمية بباريس إعلاناً دعا فيه يهود افريقيا وآسيا إلى

المجيء إلى مصر ليدخلوا مع جيشه إلى مدينة القدس. وكان يهود باريس قد دعوا إلى الاستيلاء على الوجه البحري من مصر مع فلسطين لتكون لهم وطناً وتمنح فرنسا لقاء مساعدتها حصة كبيرة من التجارة والأرباح.

٣ ـ وفي عام ١٩٠٥ عقد مؤتمر سري في لندن دعا إليه حزب المحافظين، واستمر سنتين واشتركت فيه لجنة من كبار علماء التاريخ والاجتماع والزراعة والاقتصاد والنفط تمثل جميع الامبراطوريات الاستعمارية القائمة آنذاك، وكان من توصيات المؤتمر: «إقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسر البري الذي يربط أوروبا بالعالم القديم، أي في فلسطين، بحيث يشكل في هذه المنطقة، وعلى مقربة من قناة السويس، قوة عدوة لشعب المنطقة وصديقة للدول الأوربية، وذلك بغية السيطرة على الشرق.» هذا ما ورد في التقرير الذي صدر عن المؤتمر والذي دعي تقرير بترمان رئيس وزراء بريطانيا آنذاك.

٤ ـ تعامل جناح صهيوني، إبان الحرب العالمية الأولى، بقيادة وايزمن مع بريطانيا وحلفائها، ونال منها وعوداً بالدعم والتأييد، وتعامل جناح آخر بقيادة اوبن هايمر مع ألمانيا وتركيا، وقد وقع كلا الطرفين وثائق سرية للصهيونيين، لأنهما من طبيعة واحدة، رأسمالية استعمارية ولم يكن النزاع بينهما سوى نزاع على الغنائم من مواد أولية وأسواق تجارية ومناطق نفوذ وسيطرة.

٥ ـ وفي الوقت الذي كتب فيه أحد مفكري الاستعمار البريطاني، ويدعى هربرت: «إن اليهود وحدهم هم القادرون على ضمان استمرار فلسطين بلداً صديقاً لنا» كتب نورداو مساعد هرتزل: «لو لم تظهر الصهيونية إذاً لعملت بريطانيا على خلقها».

هذه إشارات ذات دلالة على طريقة ولادة الصهيونية ونموها، ثم نعلم بعد ذلك كيف فرض الانتداب البريطاني على فلسطين، عقب الحرب العالمية الأولى، وماذا فعلت بريطانيا ثم أمريكا لتوطين اليهود فيها وتهجير العرب وسلبهم أراضيهم ثم تمكين الصهاينة من إنشاء دولة اسرائيل.

إن الحركة الصهيونية إذاً هي إفراز أوروبي غربي استعماري، واليهود مادتها، وأحلامهم المريضة وقودها.

إن أوروبا الرق قد أفرزت غزوة الاسكندر المكدوني وما نجم عنها من حكم السلوقيين والبطالسة، ثم حكم الرومان والبيزنطيين. وأوربا الإقطاع أفرزت الغزوة الفرنجية (الصليبية) وما ترسب منها من دويلات عاشت حقبة من الزمن في القدس وأنطاكية وطرابلس والرها... وأوربا الرأسمال الاستعماري أفرزت حملات عسكرية فرضت الاحتلال والانتداب والحماية على بلدان الوطن العربي، مشرقه ومغربه... وكان أسوأ ترسباتها وأشكالها اغتصاب فلسطين لتكون قاعدة للصهيونية ودولة اسرائيلية.

غير أن للقضية وجهاً آخر، وجه المقاومة البطولية التي أبدتها شعوب الأمة العربية في صورتها القديمة (الكنعانية والآرامية) وصورتها اللاحقة (العربية الاسلامية) لكل أشكال الغزو والاستيلاء والاختراق، ثم وجه المقاومة العربية الفلسطينية ضد الصهاينة وحماتهم وأعدائهم، هذه المقاومة التي بدأت يوم بدأ المشروع الصهيوني يذر قرنه، وتتابعت حتى اليوم، وستبقى إلى الغد، حتى ينتصر الحق ويزهق الباطل، وتعود الأرض إلى أصحابها والحرية إلى أهلها، ويسود العدل في الأرض.



المشروع الصهيوني

١ ـ هدف الاستيطان الصهيوني:

يهدف المشروع الصهيوني إلى انتزاع أرض فلسطين من أهلها العرب، وإحلال اليهود الذين يؤتى بهم من شتى أنحاء العالم محلهم، فهو استعمار استيطاني يختلف عن أشكال السيطرة الاستعمارية التي بسطتها الدول الأوربية، في القرون الثلاثة الأخيرة على مناطق شاسعة في آسيا وإفريقيا، وحملت أسماء مختلفة كالاحتلال والانتداب والحماية.. ذلك أن هذه السيطرة كانت سياسية تخدم أغراضاً اقتصادية وعسكرية، بالدرجة الأولى، ولم يكن غرضها في الغالب استيطانياً، أي لم تستهدف تحويل البقعة التي تسيطر علها إلى ملك لمهاجرين يؤتى بهم من هنا وهناك، بعد طرد سكانها منها وتشريدهم من موطنهم وموطن آبائهم وأجدادهم إلى بقاع أخرى.

وفي ضوء ما جرى في فلسطين منذ بداية القرن العشرين حتى نهايته، يمكننا القول إن الصراع بين الصهاينة والعرب سكان فلسطين ليس صراعاً حول السلطة السياسية أو الموارد الاقتصادية،

بل هو صراع وجود يبغي إلغاء وجود آخر، وحضارة ترمي إلى إزالة حضارة أخرى، ومستقبل يناهض ويناقض مستقبلاً آخر. وحسبنا أن نعرف أن عدد اللاجئين الفلسطينيين الذين غادروا ديارهم يبلغ اليوم خمسة ملايين وربع المليون لاجئ.

وإذا كان استيطان فلسطين من قبل اليهود هو هدف الحركة الصهيونية لإقامة دولة لهم فيها، فإن استيطان القدس وتهويدها، عنوة واقتداراً، هما لبُّ هذا الهدف لجعل القدس عاصمة لتلك الدولة.

نقول: لماذا القدس بالذات؟ إن القدس في اعتقاد اليهود تمثل وجوداً دينياً وسياسياً قديماً لهم، يرغبون في استرجاعه. ولكن إذا اعترفنا جدلاً بصحة هذا الوجود، في فترة زمنية ما، لا تتجاوز بضع مئات من السنين، فقد ألغاه ونسخه وجود أول كنعاني سبقه ألفي عام على وجه الاستمرار، وكان اليهود دخلاء عليه، ووجود ثانٍ مسيحي ديني طبع المدينة بطابعه واعترفت به أمم الأرض، ووجود ثالث إسلامي ديني وسياسي استمر نحواً من أربعة عشر قرناً أو يزيد، وترك معالم خالدة في هذه المدينة.

إن الحركة الصهيونية ـ نسبة إلى جبل صهيون بالقدس ـ تستهدف اغتصاب القدس من أهلها، وهذا الهدف مشترك بين جميع أحزاب إسرائيل، وتسعى جميعها لتحقيقه بمختلف الأساليب والوسائل.

إن الصهيونية تحدٍ لحقائق تاريخية وراهنة ومعارضة صارخة لحقوق إنسانية ثابتة:

١ ـ تتحدى التاريخ بمواجهة حق قائم وثابت بحق مزعوم طواه الزمن.

٢ ـ تتحدى العقيدتين المسيحية والإسلامية الإنسانيتين بعقيدة قبلية طواها الزمن.

٣ ـ تتحدى الواقع البشري (الديمغرافي) في القدس التي يسكنها العرب ـ مسلمين ومسيحيين ـ منذ أجيال وأجيال.

٤ ـ تتحدى حق الإنسان الطبيعي في داره وأرضه، إذْ تعمل لطرد الشعب العربي الفلسطيني من دياره وأرضه وتشريده وإحلال مهاجرين يهود محله.

٢ ـ القدس قبل الاستيطان الصهيوني:

لقد كانت القدس حتى عام ١٨٧٠ مدينة تقع داخل سور تاريخي كبير يحبط بها من كل الجوانب، بناه السلطان سليمان القانوني العثماني. وكانت المدينة عند حلول الظلام تغلق على نفسها الأبواب التي يشير كل واحد منها إلى ناحية من نواحي فلسطين.

أما داخل السور والأبواب فكانت تقع المباني الكبيرة والصغيرة، وجلها بني في عهد المماليك. ومن أشهر هذه الأبنية ما كان داراً للعبادة أو أشار إلى حادثة تاريخية. هناك قبة الصخرة

المشرفة والمسجد الأقصى المبارك، وكلاهما يرجعان إلى القرن الأول الهجري أو السابع الميلادي، وهناك كنيسة القيامة التي تعود إلى القرن الرابع الميلادي. إن في كل شارع من شوارعها أثراً تاريخياً بل في كل زاوية من زواياها وفوق كل حجر من أحجارها.

ويذكر أن عدد الآثار والمواقع الدينية في القدس القديمة التي لبثت في عهدة العرب حتى عام ١٩٦٧ يبلغ /٢٧٤/ أثراً وموقعاً، منها مائة وتسعة وتسعون أثراً وموقعاً إسلامياً من عهود الأمويين والعباسيين والفاطميين والأيوبيين والمماليك والعثمانيين وهي متنوعة: جوامع وقباب ومآذن وزوايا وأبواب ومدافن وأروقة وسبل ومدارس وأسواق وقناطر وغيرها، وستون أثراً وموقعاً مسيحياً من كنائس وأديرة وبطريركيات ومدارس، من أيام الحكم البيزنطي حتى اليوم، وخمسة عشر أثراً وموقعاً يهودياً من كُنُس ومدارس أقيمت خلال القرنين الأخيرين التاسع عشر والعشرين من خلال عملية التهويد.

وبعد عام ١٨٧٠ ضاقت مدينة القدس بسكانها، فخرج القادرون منهم يبنون خارج السور، على الهضاب والمرتفعات التي تحيط بالقدس التاريخية القديمة، واتجهوا شمالاً وشرقاً فأقاموا منازل في وادي الجوز والشيخ جراح، كما توجه آخرون غرباً. وعندما بدأ القرن العشرون كانت عدة أحياء قد ظهرت للوجود مثل حي الطالبية وحيّ القطمون، وحملت أحياء أخرى أسماء العائلات التي شيدت فيها مباني لها، مثل الوعرية والنمَّرية.

واستخدم المقادسة في البناء الجديد الحجر الأبيض والقرميد الأحمر، وأقاموا الحدائق والبساتين حول بيوتهم، فكانت هذه الأحياء الجديدة متعة للناظرين.

ومع انتهاء الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨، كان العرب يشكلون الأكثرية الساحقة من سكان القدس، وكان عدد اليهود قليلاً، بعضهم كان يسكن بيوتاً مستأجرة من العرب داخل السور وبعضهم يسكن على جانبي شارع يافا خارج السور.

ونستعرض فيما يلي عملية الاستيطان والتهويد، بداية من فرض الانتداب على فلسطين غداة الحرب العالمية الأولى ومنها مدينة القدس.

٣ ـ الاستيطان خلال الانتداب البريطاني ١٩١٧ـ ١٩٤٨:

نسجل بعض ملامح الاستيطان اليهودي، مدة الانتداب البريطاني على فلسطين.

شجعت بريطانيا التنظيمات الصهيونية على التوجه إلى فلسطين بداية من القرن الثامن عشر، وازداد هذا التشجيع خلال القرن التاسع عشر، بدافع المخطط البريطاني الرامي إلى اختراق الوطن العربي، وفصل مشرقه عن مغربه، بإيجاد جماعة بشرية من غير العرب في فلسطين، تكون معادية للعرب بغية إضعافهم وإخضاعهم لمصالحها الاقتصادية والسياسية.

• ففي القرن التاسع عشر، أقام موسى مونتيفيوري أول توطين لليهود في فلسطين، خارج أسوار القدس عام ١٨٥٥م. ويقدر عدد اليهود في القدس بعد نحو عشرين سنة من ذلك التاريخ أي في عام ١٨٧٤م بثلاثة آلاف شخص فقط.

وقد التقى هذا المخطط بمخطط باعث الصهيونية تيودور هرتزل (١٨٦٠ - ١٩٠٤)م الذي دعا في المؤتمر الصهيوني الأول ببال ١٨٩٧م إلى انتزاع فلسطين من العرب: مسلمين ومسيحيين، وجعلها خالصة لليهود. قال: «إذا حصلنا يوماً على القدس، وكنت لا أزال حياً وقادراً على القيام بأي شيء فسوف أزيل كل شيء ليس مقدساً لدى اليهود فيها، وسوف أحرق الآثار التي قد مرت عليها قرون!»

• نص الوعد الذي أعطاه بلفور وزير خارجية بريطانيا لليهود، باسم حكومته، بتاريخ ١٩١٧/١١/٢ على منحهم وطناً قومياً في فلسطين. ونصَّت المادة السادسة من صك الانتداب على تشجيع استيطان اليهود في فلسطين والسكن في أراضي الدولة والأراضي الفارغة غير اللازمة للاستعمال العام.

• وعملاً بهذا التوجه تم نقل **١٩٥ ألف دنم من الأرض** إلى الوكالة اليهودية. بدأ الاستيطان في القدس على **جبل هداسا** المطل على المدينة ثم جرى العمل على تطويقها تدريجياً.

ونظراً لعدم قدرة المدينة القديمة على استيعاب السكان الجدد، أخذ اليهود يشيدون الأبنية والأحياء الجديدة **خارج السور** من كل الجهات - القدس الجديدة - بالإضافة إلى **الضواحي والقرى** التي ألحقت بالمدينة وأهمها: سلوان، شعفاط، بيت حنانيا، عين كارم. كذلك أقيمت أبنية على **الجبال** مثل: جبل المشارف وجبل المكبر، وفي **غرب المدينة** أقيمت أحياء استيطانية كاملة مثل حي شعرين (هوشرم) وشارع يافا. وفي تلك الفترة أنشئت إضافة إلى ما سبق **مستوطنات زراعية جماعية** (كيبوتسات): كريات أنافيم (١٩٢٠) رامات راحيل (١٩٢٦) موتساعيليت (١٩٣٣) معاليه همشاء (١٩٣٤) كفاراورباه (١٩٤٤) غفعات شاؤول (١٩٤٤).

وعلى مدى سنوات الانتداب الثلاثين تزايد يهود القدس إلى ٣٨ ألفاً عام ١٩٢٤ ثم إلى ٩٧ ألفاً عام ١٩٤٥.

وأصبحت مساحة الأرض التي يملكها اليهود ١,٨ مليون دنم من أصل مساحة فلسطين البالغة ٢٧ مليون دنم.

هذا وقد نص قرار تقسيم فلسطين رقم ١٨١ تاريخ ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ والصادر عن هيئة الأمم المتحدة على تدويل القدس. ولكن المنظمات الصهيونية الإرهابية تجاوزت هذا القرار واحتلت بعض أحياء القدس بما فيها حي المسكوبية قبل انسحاب الجيش البريطاني في ١٩٤٨/٥/١٤، ثم احتلت أحياء القدس الغربية بكاملها.

جدول (٣)

الاستيطان في القدس

خلال الانتداب البريطاني ١٩١٧ ـ ١٩٤٨

آ ـ استيطان جبل هداسا	
ب ـ إنشاء أحياء جديدة خارج السور (القدس الجديدة)	
جـ ـ إلحاق القرى والضواحي التالية بمدينة القدس: سلوان، شعفاط، بيت حنانيا، عين كارم.	
د ـ بناء مستوطنات على جبل المشارف وجبل المكبر.	
هـ ـ احتلال حي المسكوبية وأحياء أخرى في القدس.	
و ـ إنشاء أحياء كاملة غرب القدس: حي هوشرم، شارع يافا.	
ز ـ إقامة المستوطنات الزراعية الجماعية (كيبوتسات)[1] التالية:	
١ ـ كريات أنافيم	١٩٢٠
٢ ـ رامات راحيل	١٩٢٦
٣ ـ موتسا عيليت	١٩٣٣
٤ ـ معاليه هحمشاء	١٩٣٤
٥ ـ كنار اورباه	١٩٤٤
٦ ـ غفعات شاؤول	١٩٤٤

عدد السكان اليهود:

٣٨٠٠٠ نسمة	١٩٢٤
٩٧٠٠٠ نسمة	١٩٤٥

[1] الكيبوتس: تعني بالعبرية لمّ الشمل، وهي قرية ذات ملكية جماعية.

٤ ـ الاستيطان الصهيوني في مدينة القدس: ١٩٤٨ـ١٩٦٧:

اعترفت الأمم المتحدة بقيام إسرائيل بتاريخ ١٩٤٨/٥/١٥ بعد يوم واحد من انسحاب بريطانيا! وقامت بين إسرائيل والعرب حرب دامت عشرين شهراً. وفي نهاية الأمر أبرمت اتفاقية هدنة بيمن المملكة الأردنية الهاشمية وإسرائيل عام ١٩٤٩.

وقد قسمت مدينة القدس، وفقاً لهذه الاتفاقية إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ القدس المحتلة (الغربية) ومساحتها ٤٠٦٥ فداناً[1] أي ما يعادل ٨٤٪ من مساحة القدس، وتضم الأحياء العربية التالية: القطمون، الكولونية الألمانية واليونانية، البقعة التحتا، البقعة الفوقا، حي سعد سعيد، حي الطالبية، حي النبي داود، حي الطوري، وحي شنلر، وكلها تقع في القسم الغربي والجنوبي من القدس الجديدة، وخضعت للسيطرة الإسرائيلية.

٢ ـ القدس العربية (الشرقية) ومساحتها ٥٥٥ فداناً أي ما يعادل ١١,٥٪ من مساحة مدينة القدس بما فيها الحي اليهودي، ووضعت تحت السيطرة الأردنية.

٣ ـ قطاع هيئة الأمم المتحدة والأراضي الحرام ومساحتها ٢١٤ فداناً أي ما يعادل ٤,٥٪ من مساحة مدينة القدس، وهي تضم مقر المندوب السامي البريطاني على جبل المكبر ومستشفى هداسا

---

[1] الفدان يساوي ٥٧١٣ م٢.

والجامعة العبرية ومنطقة حرام تفصل بين المنطقتين السابقتين. وكانت بوابة (مندليوم) تصل القطاعين، وبقيت الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية في القسم العربي أي المدينة القديمة.

جدول (٤)

تقسيم مدينة القدس

بموجب اتفاقية الهدنة الأردنية ـ الإسرائيلية لعام ١٩٤٩

١ ـ القدس المحتلة (الغربية) تتبع إسرائيل	المساحة ٤٠٦٥ فداناً	بنسبة ٨٤٪
٢ ـ القدس العربية (الشرقية) تتبع الأردن.	المساحة ٥٥٥ فداناً	بنسبة ١١,٥٪
٣ ـ قطاع الأمم المتحدة.	المساحة ٢١٤ فداناً	بنسبة ٤,٥٪

إن السكان اليهود قد ارتفع عددهم خلال هذه المدة من ٩٧ ألفاً إلى ١٩٧ ألفاً. أما السكان العرب فقد طرد من القدس ٦٠ ألفاً خلال حرب ١٩٤٨ ولم يسمح لهم بالعودة.

وأصدر الكنيست الإسرائيلي بياناً جاء فيه إن القدس جزء لا يتجزأ من إسرائيل وهي عاصمتها.

وقد عمدت إسرائيل، بغية تغيير واقع مدينة القدس بمصادرة الأراضي العربية داخل القدس المحتلة من أصحابها العرب، والاستيلاء على الأراضي على محيط الجزء المحتل من القدس أو الضواحي والقرى المجاورة.

وقد تم بناء واستيطان عدد كبير من المستوطنات في منطقة القدس (مدن، قرى، كيبوتسات، موشافات)[1] نجملها في الجدول التالي: (انظر الجدول في الصفحة التالية).



(١) الموشاف: تعني بالعبرية مستعمرة وهي قرية تقوم على الملكية الخاصة للأرض وعلى المجهود الفردي

جدول (٥)

الاستيطان في القدس (١٩٤٨ - ١٩٦٧)

١) أسماء المدن أو البلدات:

آ ـ بيت شيمش ١٩٥١ ب ـ ميغاسريت ١٩٥١

٢) أسماء المستوطنات الزراعية التعاونية (الموشاف):

تاريخ الانشاء	الاسم	العدد
١٩٤٨	رامات رانيتسل، شوريش	٢
١٩٤٩	بيت نتوفة، بيت زايت، بيت شيفر، اشتاؤل (أشوع)	٤
١٩٥٠	عميناداف ، ايفن سابر، جعفات يعاريم، مسلات تسيون، ناحام، نيس هريم، أوراه ، زخارياه، تسيلافون، تاروم، زانواح، عاجور، باراغيوار، يشعي، ماهاسيا، شونيقاه، مطاع، تاعوز، موفوبيتار.	١٩
١٩٥١	بتوع، بيت مئير	٢
١٩٥٢	كيسالون	١
١٩٥٥	سدوت ميخاه ، تيروش، لوزيت، مشواه	٤
١٩٥٨	روجليت	١
المجموع		٣٣

٣) أسماء مراكز التطوير الريفي وعددها خمسة:

١٩٥٠ هاطوف ـ هاجشاماه ١٩٥٦ معاله يروشاليم

١٩٦٠ تسور هداسا ١٩٦٣ ميغوموديعيم

جدول (٦)

الاستيطان في القدس (١٩٤٨ - ١٩٦٧)

٤) أسماء المستوطنات الجماعية (الكيبوتس):

تاريخ الانشاء	الاســم	العدد
١٩٤٦	نفه إيلان	١
١٩٤٨	غشون ، تسوراه ، تسوفاء ، هارئيل	٤
١٩٤٩	نتيف هلميد ها	١
١٩٥١	شعالبيم، ماعوز تسيون	٢
	المجموع	٨

٥) الضواحي والقرى: ١٩٤٨–١٩٦٧

الضواحي:

بيت هكرم، روميماه

بيت مزميل، بيت فيجان

مناحان، مي نفتوح

القرى:

كفار سلمه، شوفيناه،

عين كارم، هداسا

يعارمير، بيت صفافا

ملاحظة: ثمة بعض المستوطنات والكيبوبسات الأخرى مثل: جبعات شاؤل، كفار شاؤل، بيت غمريت، كريات موشعي، دلوعيم، رامات رزيال، بيتانيم، متسوماه، مبشريت القدس، مبشريت سور القسطل.

عدد السكان:

- طرد ٦٠ ألف عربي من القدس.
- ارتفاع عدد اليهود في القدس من ٩٧ ألفاً إلى ١٩٧ ألفاً.

٥ ـ الاستيطان الصهيوني في مدينة القدس١٩٦٧ ـ ١٩٩٧:

كانت حرب ١٩٦٧ نكسة مروعة لعرب فلسطين، ونقطة توسع كبير لإسرائيل في الاستيلاء على الأراضي العربية وإسكان المهاجرين اليهود فيها، وكان نصيب مدينة القدس من الهجمة الاستيطانية الضارية كبيراً، لأنها حجر الزاوية في المشروع الصهيوني العدواني.

فقد أسرعت الدولة الصهيونية إلى اتخاذ الإجراءات التي تحقق مآربها، متجاهلة الاتفاقات الدولية ومقررات مجلس الأمن والهيئة الدولية.

بتاريخ ١٩٦٧/٦/٢٧ أصدر الكنيست قراراً يسمح بضم أية مساحة من الأرض لإسرائيل. وفي اليوم التالي صدر قانون بضم القدس العربية إلى القدس المحتلة.

وبناء على ذلك أصدر وزير الداخلية الاسرائيلي قراراً بتوسيع حدود القطاع المحتل من القدس حيث يشمل القدس القديمة والقرى المجاورة لها، فصارت رقعة القدس ٦٧ ميلاً مربعاً بدلاً عن ٢٧ ميلاً مربعاً.

وعقب ذلك قام الجيش الاسرائيلي بحل مجلس أمانة القدس العربي، وألحق موظفيه وعماله ببلدية القدس الغربية، واستولت القوات الإسرائيلية على دوائر وسجلات وممتلكات الحكومة الأردنية، ورفعت الحواجز بين القطاعين. وأخضع سكان القدس

العرب للقوانين والأنظمة الإسرائيلية وفرض عليهم التداول بعملة الدولة المحتلة.

وفي ١٩٦٧/٧/١٤ أصدرت الأمم المتحدة إزاء هذه الإجراءات قراراً اعتبرت فيه إجراءات إسرائيل سابقة الذكر لاغية وطلبت التوقف عن أي عمل من شأنه تغيير الوضع في القدس.

ولكن الحكومة الإسرائيلية ضربت بقرار الهيئة الدولية عرض الحائط وأجبرت بتاريخ ١٩٦٧/٧/٢٥ عرب القدس على حمل بطاقات إسرائيلية، ومنعت من كان منهم غائباً من العودة إليها، وغيّرت أسماء الشوارع العربية...

وبدأت مشروعات الاستيطان مباشرة بعد الاحتلال ومرت بمرحلتين:

آ ـ المرحلة الأولى: الاستيطان داخل مدينة القدس العربية:

شرعت إسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ بعمليات استيطان متلاحقة في مدينة القدس:

١ ـ مصادرة أراضٍ عربية مساحتها ١٨ ألف دنم منها ١٥٠٠ دنم في المنطقة الحرام التي كانت منزوعة السلاح قبل حرب حزيران ١٩٦٧ (جبل سكوبس، وحي الشيخ جراح، وتل الذخيرة، وكرم لوين).

٢ ـ هدم عدة أحياء سكنية عربية بكاملها وتهجير سكانها (حي المغاربة، حي المشرف، حي الباشورة) وأقامت على أنقاضها أحياء يهودية.

٣ ـ صادرت مناطق محيطة بالجامعة العبرية على جبل سكوبس، ثم باشرت في عمليات الحفر تحت الحائطين الغربي والجنوبي للمسجد الأقصى، وفتح معابر سرية تحت هذا المسجد، وتابعت إصدار القوانين والتعليمات لتجريد العرب من أملاكهم وعقاراتهم لتغيير الطابع العربي للمدينة.

٤ ـ اتخذت العديد من الإجراءات لخلق واقع جديد يحقق أغراضها، ومنها:

أ ـ تركيز المؤسسات السياسية والإدارية في مدينة القدس العربية ونقل عدد من الوزارات والدوائر الرسمية إليها منها: وزارة العدل ومحكمة العدل العليا، وزارة الإسكان، مقر رئاسة الوزراء، محطة الإذاعة، الوكالة اليهودية، بنك إسرائيل، الجامعة العبرية، مقر رئيس الدولة، مكاتب الهستدروت، إدارة البريد، غرفة التجارة... كما طلبت من الدول الأجنبية نقل سفاراتها إليها، ونفذت بعض تلك الدول ذلك.

ب ـ تهويد التعليم والثقافة بتطبيق منهاج التعليم الاسرائيلي، والاستيلاء على متحف الآثار الفلسطيني ومراقبة الكتب والمطبوعات والنشر وإطلاق أسماء يهودية على الشوارع والساحات.

جـ ـ تطبيق القوانين الإسرائيلية الجزائية والضريبية على مواطني القدس العربية، وإخضاعهم للقضاء الاسرائيلي، وتحطيم البنية الاقتصادية الوطنية للقدس، والاستيلاء على شركة كهرباء القدس وتصفيتها.

د ـ الإساءة إلى الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية، وإجراء حفريات تحت المسجد الأقصى وحوله، وفتح نفق تحته وإحراقه، ومحاولة إقامة الصلاة في ساحته، وسرقة بعض محتويات كنيسة القيامة واستملاك الأراضي التابعة لبعض الأديرة، والاعتداء على المقابر الإسلامية وتحطيمها وسرقة بعض آثار المتحف الفلسطيني.. إلخ

هـ ـ تجميد أعمال البناء في مساحة ٣٥ ألف دنم من الأراضي التي يملكها عرب القدس الشرقية.

يقول المفكر والكاتب اليهودي ألفريد ليلنتال المعادي للصهيونية: «إن أكثر ما أثر في نفسي هو اغتصاب القدس وتغيير معالمها تغييراً واضحاً، وذلك بتشييد أبنية على شكل قلاع، الأمر الذي حمل العرب على هجر المدينة وأما الباقون فإنهم عرضة للاضطهاد. لقد شوهت إسرائيل القدس كمدينة قديمة أثرية مقدسة.»

ب ـ المرحلة الثانية: الاستيطان خارج مدينة القدس وعلى محيطها:

استكمالاً للمرحلة الأولى، وبالتوازي معها بدأت إسرائيل ابتداءً من عام ١٩٦٨ بإقامة حزام استيطاني من الأحياء السكنية

اليهودية حول القدس، من جهة الشمال وجهة الجنوب، هذه الأحياء الشبيهة بالقلاع الاسمنتية: أبنية ضخمة عالية ذات أسوار صالحة لأداء غرضين، سكني وعسكري. ومن هذه الأحياء:

١ ـ حي رامات اشكول (١٩٦٨) في منطقة الشيخ جراح شمال غرب القدس.

٢ ـ حي معلوت (نهلات) دفنا (١٩٧٣) امتداد للحي السابق من الناحية الشمالية.

٣ ـ حي سانهدريا (١٩٧٣) امتداد آخر لحي رامات أشكول.

٤ ـ حي جبعات همفتار: امتداد آخر لحي رامات اشكول.

٥ ـ حي النبي يعقوب: على الطريق بين القدس ورام الله قرب مطار قلنديا.

٦ ـ حي شابيرا أو التلة الفرنسية: شرق جبل سكوبس.

٧ ـ حي الجامعة العبرية: على جبل سكوبس (المشرف)، توسيع الجامعة العبرية ومستشفى هداسا القريبين من مباني وزارة العدل والإسكان والأشغال العامة والزراعة.

٨ ـ حي هانصيف وهيغيق (١٩٧٣): على جبل المكبر وقرية صور باهر ووادي عمرون وبطن السباع ووادي الزيتون ــ جنوب مدينة القدس.

٩ ـ حي تل عناتوت (١٩٨٣): على أراضي قريتي عناتا وشعفاط العربيتين شمالي القدس.

١٠ ـ حي جيلا (١٩٨٠): على أراضي قرية شرفات المجاورة لقرية بيت صفافا.

١١ ـ حي عطاروت (١٩٦٧): على الأراضي المصادرة من قريتي قلنديا وبيت حنانيا.

١٢ ـ حي تعاروت: على أراضى قرية شعفاط على طريق عناتا.

١٣ ـ حي نحلات شمعون: حي عربي قديم أخلي من سكانه العرب عام ١٩٤٧.

١٤ ـ حي بيتاوردت: فوق جبل الزيتون، يقيمه المليونير اليهودي موسكوفيتش.

١٥ ـ حي أو مستوطنة رأس العامود: مقابل سفح جبل الزيتون وفوق قرية سلوان.

١٦ ـ حي أو مستوطنة جبل المكبر: على أراضي الجبل.

١٧ ـ مستوطنة أبو ديس: (٦٠٠ دنم) تقع جنوب شرق القدس.

١٨ ـ مستوطنة سلوان: قرية عربية جنوب شرقي القدس جرى استيطانها.

١٩ ـ تسفون يورشاليم (١٩٨٣): شمال القدس بين التلة الفرنسية والنبي يعقوب.

٢٠ ـ حي جعفات ميسون: (١٩٨٨).

٢١ ـ حي صاموئيل هايني: أقيم على أراضي حي الشيخ جراح.

٢٢ ـ مستوطنة داود: (١٩٩٠) غرب باب الخليل بين القدس الشرقية والغربية.

وهنا يتبادر إلى الذهن السؤال التالي: من الذي يتولى عمليات الاستيطان وما تقتضيه من تأمين الأرض شراءً أو تحايلاً أو استيلاءً وبناء المساكن وإعداد المهاجرين اليهود للسكن فيها، ومن يتولى تمويل هذا العمل كله؟

ثمة منظمات صهيونية أنشئت لهذه الغاية مثل منظمة عطيروت كوهانيم الدينية المتطرفة، ومنظمة عطارة ليوشنا ومدرسة شوفوينيم. ويتولى تمويل هذه المنظمات من داخل إسرائيل ومن خارجها اليهود، ولا سيما يهود الولايات المتحدة. ومن المفيد أن نذكر شيئاً عن المليونير اليهودي موسكوفيتش. إنه يهودي من فلوريدا، وصفه ايهود اولمرت رئيس بلدية القدس الحالي بأنه «روتشلد إسرائيل في القدس». وقد وصفت جريدة الاتحاد الفلسطينية الأموال التي يشتري بها العقارات وينفقها على بناء المساكن بأنها أموال مشبوهة يجمعها من أماكن اللهو وصالات القمار في الولايات المتحدة.. لقد اشترى عقارات في أبو ديس وجبل الزيتون وعقارات في شرقي القدس..

ومن المستوطنات الأخرى التي أكملت الطوق حول المدينة بشكل هلالي (٣٦) مستوطنة، أقيمت على أرض القرى المحيطة بالقدس، مثل مستوطنة راموت على أرض بيت حنانيا وإكسا ومستوطنة روش جيلو في منطقة بيت جالا.

ونظراً للتوسع الاستيطاني لم تعد تتوافر مساحات واسعة فتم القفز إلى المساحات الخضراء المحددة في المخطط التنظيمي. ثم وضعت خريطة القدس الكبرى التي يراد أن تمتد على مساحات واسعة جداً تشكل ما يقرب من ٣٠٪ من مساحة الضفة الغربية الكلية وتضم ٩ مدن و٦٠ قرية عربية.

وتنفيذاً لهذه الخريطة ـ المشروع ـ جرى تنفيذ الخطوة الأولى منه بإقامة (١٥) مستوطنة حول القدس شمالها وجنوبها:

١ ـ في الشمال: المستعمرات التي أقيمت حول مدينتي رام الله والبيرة وتضم كوخاف هشاحر، وعفرة، وبيتأيل، وكفارروش، ونيفي تسوف وبيت إيل ب.

٢ ـ في الجنوب: المستعمرات التي أقيمت في المنطقة الممتدة من شمال مدينة الخليل إلى مناطق بيت لحم وبيت ساحور وتضم: تكواع وكفار غصيون ، وتكواع ب، وأليعازر أوب وافرات ومجدل وروش تسوريم، وألون شيفون، ومتسبي جوبرين.

٣ ـ في الشرق: معاليه ادوميم وفي الغرب جبعون.

إن المساحة التي تضمها خريطة القدس الكبرى تبلغ (١٠٨) كيلومترات مربعة، ويخطط المشروع لتضم هذه المدينة الموسعة مليون نسمة ثلاثة أرباعهم من اليهود وربعهم من العرب.

وبغية منح هذا المشروع أهمية قصوى يقوم الإسرائيليون في اليوم الثاني عشر من شهر تشرين الأول من كل عام بمسيرة لتكريس عملية تهويد القدس.



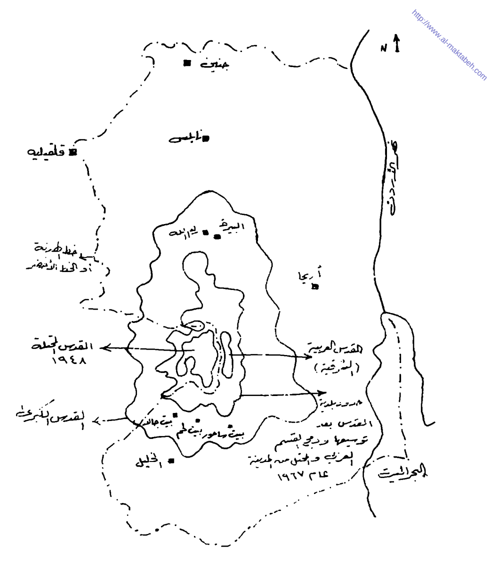
جدول (٧)

المستوطنات التي أكملت الطوق

حول المدينة (القدس) بشكل هلال

اسم المستوطنة	مكانها وتاريخ إنشاءها	اسم المستوطنة	مكانها وتاريخ إنشائها
١ ـ ميئو حورون	على أراضي قرى بالو، عمواس، بيت نوبا (١٩٦٩)	١٠ ـ أهوزات يعقوب	بين القدس والخان الأحمر
٢ ـ نيفي حورون	على أراضي اللطرون (١٩٦٩)	١١ـ جبعيون ب	على أراضي قرية الجيب العربية (١٩٧٩)
٣ ـ عطروت	قرب مطار قلنديا (١٩٧٠)	١٢ـ جبعا حداثا (أ)	على أراضي قرية الجيب العربية (١٩٧٩)
٤ ـ هارجيلو	جنوب القدس (١٩٧٣)	١٣ـ متسبيه جبعيون	قرب قرية الجيب شمال شرق القدس وقرية بدو (١٩٨٠)
٥ ـ راموت	على أراضي بيت إكسا وبيت حنانيا (١٩٧٣)	١٤ـ مكاين	عام (١٩٧٨)
٦ ـ روش جيلو	في منطقة رأس بيت جالا (١٩٧٦)	١٥ ـ كفار عفري	جانب مدينة القدس (١٩٧٠)
٧ ـ جبعون	شرق قرية الجيب (١٩٧٧)	١٦ ـ جبعات بنيامين	على أراضي قرية جبع (١٩٨٣)
٨ ـ متسبية يريحو	قرب الخان الأحمر (١٩٧٧)	١٧ ـ جبعات زئيف	على أراضي قرية بيت تونيا وبيت دقو وقرية الجيب (١٩٧٧)
٩ ـ معاليه أدونيم	قرب الخان الأحمر وقربها أقيمت: كنار أدوهيم .	١٨ ـ هارادار	على أراضي قريتي سوريك وبدو (١٩٨٥)

١٩ ـ الويه	على أراضي قرية القلط	٢٨ـ بيتا	على أراضي بيت جالا (١٩٨٢)
٢٠ ـ فرمرية	علىأراضي قرية صور باهر	٢٩ ـ دانينيل	على مشارف قرية الخضر (١٩٨٢)
٢١ـ بسكان عامر	عام (١٩٨٧)	٣٠ـ عناقا	قرب قرية عناقا (١٩٨٢)
٢٢ـ مخامس	على أراضي قرية مخماش شمال شرق القدس (١٩٨٠)	٣١ ـ عناتوت	قرب عين قارة شمال القدس (١٩٨٢)
٢٣ ـ الراوار	شمال غرب القدس (١٩٨١)	٣٢ ـ تونيم	منطقة القدس (١٩٨٢)
٢٤ـ ميتياهو	على أراضي قرية بالو شمال القدس (١٩٨١)	٣٣ ـ ينطع	شمال القدس بين تلة فرنسا والنبي يعقوب (١٩٨٣)
٢٥ـ تل زنيف	شمال غربي القدس (١٩٨١)	٣٤ ـ بيتار	جنوب القدس (١٩٨٧)
٢٦ـ حلميش	على أراضي النبي صالح (١٩٨١)	٣٥ ـ محلة بنيامين	شمال غرب القدس ومنطقة رام الله (١٩٨٥)
٢٧ـ بسفات تال	شرق بيت حنانيا (١٩٨١)	٣٦ ـ آدم	شمال القدس (١٩٨٦)



مخطط لمدينة القدس

بعد دمج القسم العربي مع القسم المحتل وتوسيع حدود بلدية القدس



القدس الكبرى وما تحتويه من أجزاء وموقعها من الضفة الغربية

حسب تصريحات المسؤولين الإسرائيليين والقرارات الحكومية

N

رام الله

البيرة

قلنديا

خط الهدنة القديم

حدود توسيع
بلدية القدس

القدس المحتلة

القدس العربية

بيت صفافا

أم طوبا

بيت جالا

بيت لحم

بيت ساحور

الضفة الغربية المحتلة

مخطط توضيحي لتقسيم المدينة

إن السعي لتهويد القدس ومحيطها لم يتوقف يوماً، بل استمر العمل لاستكمال تهويد المدينة بإغلاق الثغرات في الحزام الاستيطاني أو التوسع في جميع الاتجاهات لإقامة القدس الكبرى، وهذه المشروعات ليست موضع خلاف بين ساسة إسرائيل، فالعمل والليكود في هذا الهدف سواء، ولا يحول دونه قرارات دولية أو عربية أو إسلامية ولا احتجاجات أو مظاهرات فلسطينية وعربية، لأن المقصود هو إحداث تغيير سكاني وحضاري و«خلق حقائق على الأرض» لتحقيق الهدف الصهيوني.

إن حكومة نتنياهو قد باشرت في تموز عام ١٩٦٦ في بناء حي استيطاني في منطقة رأس العامود بالضاحية الشرقية للقدس، وفي بناء مستوطنة هارحوما على جبل أبو غنيم على أرضي قرية أم طوبى والتي تعد لمهاجرين يهود سيأتون من أوروبا وكندا، بسعة /٧٥٠٠/ وحدة سكنية، تضم ٣٠ ألف مستوطن ويمكن توسيعها لاستيعاب مئة ألف.

وهكذا تمكنت إسرائيل في السنوات الثلاث التي عقبت اتفاقية أوسلو الموقعة في ١٩٩٣/٩/١٣ والسنوات الثلاث الأخرى التي تلتها من تغيير معالم القدس بل الضفة الغربية برمتها، مما يدل على أن تأجيل موضوع القدس إلى ما بعد اوسلو كان خديعة قصد منها إيجاد واقع جديد يتفق مع أهداف إسرائيل التوسعية، ويمثل على مائدة المفاوضات مع الفلسطينيين.

جدول (٨)

أعداد المستوطنين اليهود في القدس (بالآلاف)[1]

السنة	عدد السكان	عدد العرب	عدد اليهود
١٩٣٨	١١	٨	٣
١٩٤٦	١٣٦	٣٧	٩٩
١٩٦٧	٢٦٦	٧١	١٩٥
١٩٧١	٢٨٧	٧٢	٢١٥
١٩٩٤	٦٤٥	١٧٢	٤٧٣

وثمة إحصاء آخر لمساحة القدس وسكانها[2]

السنة	عدد السكان	عدد العرب	عدد اليهود	المساحة كم٢
١٩٤٧	٢٠٥	١٠٥	١٠٠	٢١
١٩٦٧	٢٦٥	٦٨	١٩٧	١٠٨
١٩٨٧	٤٩٤	١٤٠	٣٥٤	١٠٨
١٩٩٥	٥٧٠	١٥٠	٤٢٠	١٢٣

ملاحظة:

• من عام ١٩٧٣ حتى اليوم تلقت إسرائيل من الولايات المتحدة أكثر من مئة مليار دولار، ومن ألمانيا نالت أكثر من مئة مليار مارك.

---

[1] من مصادر فلسطينية وعربية.

[2] من مصادر أجنبية.

جدول (٩)

عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين

التاريخ	العدد
١٨٨٢-١٩٠٣	٢٠-٣٠ ألفاً
١٩٠٤-١٩١٤	٣٥-٤٠ ألفاً
١٩١٩ - ١٩٣١	١٢ ألفاً
١٩٣٢-١٩٣٨	٨٢ ألفاً
١٩٣٩-١٩٤٨	٩٢ ألفاً
١٩٤٨-١٩٥١	٦٨٥ ألفاً
١٩٥١-١٩٦٠	٢٩٠ ألفاً
١٩٦٠-١٩٧١	٤٢٥ ألفاً
١٩٧٢-١٩٧٩	٢٦٠ ألفاً
١٩٨٠-١٩٨٩	١٤٤ ألفاً
١٩٩٠-٢٠٠٠	٦٠٠ ألفاً
المجموع	٢٦٦٠



جدول رقم (١٠)

اللاجئون الفلسطينيون

مكان اللجوء	عدد اللاجئين
اسرائيل	٢٥٠٠٠٠ (لاجئ داخلي)
قطاع غزة	٨١٣٥٧٠
الضفة الغربية	٦٩٣٢٨٦
الأردن	١٨٤٩٦٦٦
لبنان	٤٣٣٢٧٦
سورية	٤٧٢٤٧٥
مصر	٤٢٩٧٤
السعودية	٢٩١٧٧٨
الكويت	٣٦٤٩٩
باقي الخليج	١١٢١١٦
العراق وليبيا	٧٨٨٨٤
الدول العربية الأخرى	٥٨٨٧
أمريكا الشمالية والجنوبية	١٨٣٧٦٧
باقي العالم	٢٣٤٠٠٨
المجموع	٥٢٤٨١٨٦
مجموع الفلسطينيين	٨٢٧٠٥٠٩

٦ ـ خطة تهويد مدينة القدس:

يقصد بتهويد القدس تحويلها من مدينة عربية مثلما كانت حتى قيام دولة إسرائيل، من مدينة عربية المعالم الأثرية (الإسلامية منها والمسيحية) عربية الأهل، وعربية اللسان، إلى مدينة يهودية بسكانها وعمرانها ومؤسساتها ولغتها. وتقوم خطة التهويد على خطين متوازيين هما:

١ ـ مصادرة الأراضي العربية.

٢ ـ تهجير العرب من القدس وإسكان مهاجرين يهود مكانهم.

وتحاول السلطة الإسرائيلية أن تسلك هذين الخطين تحت غطاء قانوني مزيف كاذب، وهذا ما أوجد مفارقة بين القانون والحق، إذ أن مهمة القانون في الأصل أن يحمي حقاً مهدداً بالخرق أو يثبت حقاً لضعيف يخشى أن يغتصبه الأقوياء، وأما القانون في نظر إسرائيل، فهو أداة لاغتصاب حق ثابت مستمر ووسيلة لإلباس الباطل ثوب الحق.

آ ـ مصادرة الأراضي العربية:

نذكر القوانين التالية التي ترمي جميعها إلى اغتصاب الأرض من أصحابها العرب:

١ ـ قانون أملاك الغائبين: ملك الغائب قابل للمصادرة.

٢ ـ قانون سقوط الحق بمرور الزمن: يلزم كل صاحب أرض عربي بإثبات استعماله أرضه من خمسين سنة. وباعتبار أنه يصعب الحصول على وثائق إثبات فقد خسر كثيرون أراضيهم.

٣ ـ قانون التوزيع: يُعلن أن هذه الأرض عسكرية فتصادر من صاحبها.

٤ ـ قانون الأراضي غير المزروعة: تقسم الأراضي إلى أقسام صغيرة لا تكفي لمعيشة أصحابها، فإن تأخروا في استغلالها تصادر.

٥ ـ قانون الأراضي المكثفة: لوزير الزراعة أن يعلن أي منطقة زراعية منطقة زراعية مكثفة فتصادر.

٦ ـ قانون ضريبة الملكية المعدل: وضعت ضرائب باهظة على الأرض المستعملة للأبنية السكنية فغادرها أصحابها إلى المناطق المحيطة بالقدس.

٧ ـ قانون المناطق الخضراء: كل ساحة صنفت على الخريطة خضراء يمكن للسلطة بناؤها مساكن للمستوطنين.

٨ ـ قانون الغابات: يحق للسلطة بموجبه الاستيلاء على المساحات الغابية.

٩ ـ قانون الطوارئ لمصادرة الأراضي: يخول هذا القانون الإسرائيليين دخول أية منطقة للحفاظ على أمنهم أو توفير السكن للمهاجرين منهم. وبموجب هذا القانون صودرت أراضي خمسٍ

وثلاثين قرية في مقاطعة القدس وتم تهجير سكانها عام ١٩٤٨، وبموجب هذا القانون ارتفع عدد المستوطنات من ١٢ مستوطنة عام ١٩٤٨ إلى ٦٤ مستوطنة عام ١٩٦٧.

ب ـ تهجير العرب من القدس:

لا يتم تهويد مدينة القدس بالاستيلاء على الأراضي العربية التي سرعان ما تبنى عليها المستوطنات ويسكنها اليهود الوافدون من أنحاء الأرض وحسب، بل ينبغي لكي يتم ذلك تهجير العرب من بيوتهم وإخراجهم من المدينة التي ولدوا فيها وعاشوا، والتي ولد فيها وعاش آباؤهم وأجدادهم.

وسلكت الصهيونية كل سبيل يؤدي إلى هذا الهدف. وهنا لابد كذلك من التمويه والتضليل لكي يبتلع العرب ومن حولهم أحرار العالم هذه الجريمة التاريخية جرعة جرعة، بدلاً من ضربة صاعقة كمذبحة دير ياسين التي ما زال العالم يذكرها بغيظ واشمئزاز.

واتخذت عملية التهجير/ الطرد الأشكال والأساليب التالية:

١ ـ عدم منح رخص لعرب القدس من أجل بناء مساكن. وإذا منحت لأحدهم رخصة في حال من الأحوال فرضت عليه الضرائب الباهظة التي تجعل غيره يحجم عن طلب الترخيص: ضريبة الأرض غير المبني عليها، ضريبة الآثار، ضريبة البنية التحتية، ضريبة الجيش...

٢ ـ إذا وسّع عربي مقدسي منزله بإضافة غرفة أو غرفتين إليه ليستوعب أفراد أسرته بدون ترخيص أو بنى منزلاً خارج المدينة فقد حقه بالإقامة في القدس وشطبت هويته.

٣ ـ إذا اتهم عربي مقدسي بعدم الإقامة في القدس سبع سنوات متواصلة، ولم يستطع إثبات العكس لصعوبة الحصول على الوثائق اللازمة، سحبت منه هويته وهوية أفراد أسرته. وقد بلغ عدد الهويات المصادرة (١١) ألف هوية.

٤ ـ بعد اتفاقية أوسلو ١٩٩٣/٩/١٣ نسف في القدس (١٠٢) مئة بيت وبيتان في حين أنه لم يسمح قط ببناء حي جديد للعرب منذ سقوط القدس بيد إسرائيل عام ١٩٦٧.

٥ ـ جرت ملاحقة سلطات الأمن الإسرائيلية للمؤسسات الفلسطينية العاملة في القدس، بحجة أنها تمارس نوعاً من السلطة السياسية، وذك مخالف لاتفاقية القاهرة. ووضعت إسرائيل ثلاث عشرة مؤسسة فلسطينية على لائحة «السلطة» من بينها بيت المشرق، جامعة القدس، وزارة الأوقاف والمقدسات، مؤسسة الأرض والمياه..

٦ ـ تمارس إسرائيل على عرب القدس سياسة التمييز العنصري. إنهم يدفعون الضرائب التي يدفعها غيرهم ولكن أحياءهم تعاني الإهمال التام، وقدر بعض العارفين أنها تحتاج إلى مئة مليون دولار لتحسين البنى التحتية فيها.

٧ ـ جعل الاحتلال الصهيوني مدينة القدس مغلقة في وجه الفلسطينيين إذ يمنع الفلسطيني من غير سكان القدس من القدوم إلى هذه المدينة إلا إذا حصل على تصريح خطي يعطى ليوم واحد!.

قال شمعون بيريس، وهو من حمائم حزب العمل، في الكنيست بتاريخ ١٩٩٤/٦/٧: «القدس لن تقسم، ولن تكون عاصمة لكيانين، وإنما هي عاصمة دولة إسرائيل. سوف تبقى موحدة وفق الخريطة التي صادق عليها الكنيست وتحت سيادة إسرائيلية. القدس لنا ولن تكون برلين ولن يقام فيها سور ولن تجزأ... هذا هو موقفنا. وهذا هو هدف الصراع».

جـ ـ محاولات هدم المسجد الأقصى والتعدي على الكنائس:

ينص المخطط الصهيوني الرامي إلى تهويد القدس وجعلها عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل التخلص من المعالم الإسلامية والمسيحية فيها، ولا سيما المسجد الأقصى، وهو المعلم الإسلامي البارز لإعادة بناء الهيكل على أنقاضه، إذ يزعمون أنه بني فوق الهيكل الثالث الذي أقامه هيرودس.

ولئن لم يتجرأ الصهاينة على هدم هذا المسجد بعد حرب الأيام الستة في شهر حزيران ١٩٦٧ مباشرة، فلأنهم بعد هذا العدوان الاسرائيلي الكبير الذي احتلوا به مساحات شاسعة من أرض فلسطين والبلدان العربية المجاورة، لم يجرؤوا على إثارة الرأي العام العربي والإسلامي والعالمي من جديد.

ومع ذلك ظل تدمير المسجد هدفاً لهم، وكانت المحاولات متعددة. في ٢١ آب عام ١٩٧٩ أقدم رجل استرالي يدعى مايكل دينيس روهان على إشعال حريق في المسجد، فأسرعت السلطة الإسرائيلية لتغطية عمله زاعمة أنه معتوه. وفي عام ١٩٨٣ وضعت عصابة يبلغ عدد أفرادها ٤٦ شخصاً متفجرات تحت المسجد، وحاولت جماعة أمناء الهيكل وضع حجر أساس للهيكل المراد بناؤه.

وفي كل مرة كان أبناء القدس يتصدون للمؤامرات، ويسقط شهداء وجرحى، وفي كل مرة كانت إسرائيل تراوغ وتخادع. ولكن أليست دائرة الآثار هي التي تقوم بالحفريات تحت المسجد، ووضعت جهازاً إلكترونياً داخل النفق يظهر القدس القديمة بدون مسجد.

إن الحكومة الإسرائيلية لا تستطيع أن تخفي مسؤوليتها المباشرة أو تتنصل منها، وإن كانت تختبئ وراء جماعات وجمعيات غير حكومية هدفها هدم المسجد وبناء الهيكل، مثل جماعة غوشيه مونيم (جيش المؤمنين) وحركة أمناء جبل الهيكل وحركة إعادة بناء الهيكل.

ولم يتوانَ الصهاينة عن التعدي على كنائس القدس وممتلكاتها الدينية، نذكر من تعدياتها:

١ـ اقتحام بعض اليهود كنيسة القيامة وسرقة تاج العذراء، عام ١٩٦٧ بعد الاحتلال بأشهر قليلة.

٢ـ اقتحام يهودي أمريكي القبر المقدس نفسه وتحطيم ثريات فيه في ١٩٧١/٣/٢٣م

٣ـ اقتحام ثلاثة يهود مسلحين كنيسة القيامة في ١٩٧٣/٤/١٢ وضربهم أحد الرهبان.

٤ـ هجوم الشرطة الإسرائيلية على دير الأقباط الملاصق لكنيسة القيامة في ١٩٩٧/٤/١٤ وضربها رهبانه.

كل هذا يشير بوضوح إلى أن القضية الصهيونية هي من ناحية ما، قضية دينية، فثمة حقد دفين على المسيحية والإسلام يفعم قلوب اليهود، ويدفعهم إلى الاعتداء والعدوان لا على البشر فحسب، بل على الأثر والحجر كذلك.



مصير القدس

١ ـ وقائع وحقائق:

بعد هذا العرض، يمكننا أن نتبين بعض الوقائع والحقائق التي ترسخت خلال القرن الأخير:

١ ـ نشأت الحركة الصهيونية، مذ نشأت، حركة استيطانية تستهدف أن تأتي باليهود من جميع أنحاء العالم، وتسكنهم أرض فلسطين بعد طرد أهلها العرب المقيمين فيها منذ أجيال وأجيال استناداً إلى حجج تاريخية واهية.

ونتيجة لهذه الطبيعة الاستيطانية للمشروع الصهيوني، فإن الحركة الصهيونية عدوانية، بالضرورة، لأن اغتصاب الأرض وتهجير السكان لا يتم لا بالقوة والعدوان. وهي كذلك حركة عنصرية إزاء العرب أمة وحضارة، وأصولية دينية منافية لسياق العصر، وحركة نفعية براغماتية منافية للقيم الأخلاقية، لأن الغاية عندها تبرر الواسطة، ولذا كانت على الدوام لا تتورع عن قتل الناس وتشريدهم وهدم منازلهم ونهب ممتلكاتهم، عندما

تقتضي مصلحتها ذلك. وما أشبه ما حدث في فلسطين في القرن العشرين بعد الميلاد بما حدث في أرض كنعان في القرن الثالث عشر قبل الميلاد!

٢ ـ ارتبطت الحركة الصهيونية، منذ بدايتها بدول الاستعمار، التماساً للعون المادي والمعنوي، المالي والعسكري والسياسي، ويجمع بينها وبين هذه الدول الطمع في تحقيق السيطرة المستمرة على المنطقة العربية المتميزة بموقعها الجغرافي الاستراتيجي وغنى مواردها الطبيعية.

لقد كان الاستعمار البريطاني شريكاً في الإعداد لقيام إسرائيل وشريكاً في إنشائها وتمكينها من حيازة الأرض والسلطة، وفي ظل الانتداب البريطاني تمت العمليات التأسيسية للكيان الدخيل بتأمين مقوماته من أرض مغتصبة وبشر مهاجرين وسلطة سياسية تشكلت بالتدريج.

وبعد أن قامت دولة إسرائيل بقرار من الأمم المتحدة، بالحصول على أكثرية الأصوات بالإكراه والضغط والتحايل، تنازلت بريطانيا عن دورها الداعم والمدافع والضامن والراعي لإسرائيل للولايات المتحدة الأميركية.

٣ ـ فاجأ المشروع الصهيوني العرب قبل أن يحققوا مشروع نهضتهم القومية المعاصرة أو بعضاً منه، هذا المشروع المتمثل بوحدة جامعة ومضمون حضاري متقدم. لقد كانت معظم أقطارهم، غداة

الحرب العالمية الثانية ونشوء إسرائيل، تخضع للاحتلال أو الحماية أو الانتداب من قبل دول غرب أوروبا، وبعضها قد حاز استقلاله قبل فترة وجيزة، فلم يصلب عوده بعد، ولا أحدث قوة ردع وصدام كافية، إلى جانب ما كانت تعانيه من تشتت سياسي وتخلف اقتصادي واجتماعي وتقاني، هو حصيلة قرون عديدة، من الحكم المملوكي والعثماني والاستعماري. أما جامعة الدول العربية التي كانت قد أُحدثت إذّاك فلم يكن لها حَوْل ولا طَوْل لضعف بنيتها وضآلة صلاحيتها.

وقد نجمت عن ذلك كله مفارقة ليست لصالح العرب، وهي تصادم كثرة بشرية مبعثرة ضعيفة لا تملك إرادتها ولا تتصرف بمواردها، بقلة بشرية محكمة التنظيم حسنة التدريب تشد أزرها منظمات غنية «المنظمات الصهيونية العالمية»، ودول ذات قوة وبأس وعلى رأسها بريطانيا والولايات المتحدة. وكانت الحصيلة أن كانت الصهيونية، طيلة القرن العشرين في حال المبادرة والهجوم والفعل، وكان العرب في حال الترقب والدفاع وردة الفعل.

٤ ـ وقف الشعب العربي الفلسطيني، على الرغم من عدد أفراده المحدود والإمكانات الضئيلة المتاحة له، موقف الرفض لمشروعات الصهيونية، فقاوم عمليات تهجير العرب وتوطين اليهود الذين استجلبوا من مختلف البلدان، ولم يترك وسيلة إلا استخدمها ابتداءً من وعد بلفور حتى تهويد القدس من

احتجاجات شديدة ومظاهرات صاخبة وثورات لاهبة شارك فيها بمختلف فئاته وأسهم فيها الرجال والشبان والنساء، وقدم فيها أمثلة رائعة من الوطنية والتضحية والفداء. وحاولت الدول العربية ولا سيما الدول المحيطة بفلسطين: مصر وسورية والأردن ولبنان أن تبذل المساندة والعون للشعب العربي الفلسطيني، من منطلق الأخوة القومية، ومن القناعة بأن الصهيونية ليست خطراً على فلسطين وحدها بل على المنطقة العربية بأسرها، ومن الاعتقاد بأن مدينة القدس ليست لأهل فلسطين وحدهم، بل هي قلب الوطن العربي، وفيها مقدسات أهله مسلمين ومسيحيين.. فكانت نتيجة ذلك حروب متتالية بين هذه الدول وبين الدولة الإسرائيلية أعوام ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧، ١٩٧٣، ١٩٨٢، ولكنها حروب كانت تفتقر إلى التكافؤ في التدريب العسكري وإلى التماثل مع العدو في السلاح الحربي، فلم تأتِ بما كان يرتجى، عدا حرب ١٩٧٣ التي أثبتت قدرة الجيشين العربيين، السوري والمصري على استخدام التقانة الحربية المعقدة والمتطورة، وبسالة أفرادهما وبراعتهم واستعدادهم للبذل والعطاء.

٥ ـ لقد كانت القدس أو بيت المقدس منذ وجدت مدينة السلام والسلم «أور سالم» اسماً وفعلاً. غزاها فاتحون من الجنوب والشمال والغرب والشرق يحدوهم الطمع في أرض كنعان، مفتاح القارات الثلاث، وأرض اللبن والعسل وأرض الموادعة والطمأنينة

والأمن، ولكن لم يخرج منها فاتح قط، ولا طمع أهلها فيما ليس لهم.

وجاء الصهاينة منذ نصف قرن فزرعوا في ربوعها الحقد والكراهية والخوف، وسلبوا أرضها ودورها، وشردوا أهلها الآمنين المسالمين، وعبثوا بتراثها ومقدساتها. ولتغيير تاريخها وجغرافيتها زوّروا الوقائع والأحداث والحقائق، وفق ما يشتهون ويتخيلون، وأقاموا داخلها وخارج أسوارها مئات المستوطنات التي حشروا فيها مهاجرين من جهات الدنيا الأربع ليصنعوا منها مدينة هجينة يريدون أن تكون لدولتهم عاصمة أبدية.

٦ ـ إن الحق لم يقهر في العالم مثلما قهر في فلسطين، ولم تحدث، خلال التاريخ حركة اغتصاب للأرض وتشريد لأهلها مثلما حدث في فلسطين، ولا سيما في مدينة القدس.

أما الإرادة الدولية التي تمثلها هيئة الأمم المتحدة فلم تلاقِ خرقاً واستهتاراً مثلما لاقت في هذه القضية: قرارات يتلوها قرارات، مدة خمسين عاماً تنطق بقدر ما من العدل وتبغي حداً ما من السلام، ولكن إسرائيل تمتنع عن تطبيقها، وتمضي دون هوادة في تنفيذ مخططاتها العدوانية.

هل هي مسؤولية إسرائيل والصهيونية واليهود الذين هُجِّر أكثرهم من مواطنهم ليكونوا أدوات اغتصاب وقهر، أم مسؤولية دول جبارة لا حدّ لأطماعها، أم هي مسؤولية هؤلاء وهؤلاء؟!

٢ ـ أسئلة وتساؤلات:

واليوم، وقد انقضى على مؤتمر مدريد، تشرين الأول ١٩٩١ الذي انعقد على أساس الأرض مقابل السلام، ما يقرب من تسع سنوات، وعلى اتفاقية أوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل الموقعة بتاريخ ١٩٩٣/٩/١٣ ما يقرب من سبع سنوات، تخطر في الأذهان عدة أسئلة وتساؤلات عن قضية القدس ومآلها في السنوات القادمة.

وقبل أن نطرح هذه الأسئلة والتساؤلات المهمة، نشير إلى أن أسوأ ما في اتفاقية أوسلو أنها أرجأت التفاوض في قضية القدس إلى مفاوضات الوضع النهائي مع بعض القضايا المهمة الأخرى، كقضايا عودة اللاجئين الفلسطينيين، والتعويضات والمستوطنات، والحدود والترتيبات الأمنية. وكان المنطق السليم يقضي بأن تكون قضية القدس حجر الزاوية في المفاوضات، منذ بدايتها، والأساس في أية اتفاقية أو تسوية بين الطرفين. ومن المؤكد أن إسرائيل بإرجائها قضية القدس إلى ما بعد، قصدت أن توحي بأن قضية القدس ليست القضية الأهم، بل هي واحدة من القضايا الأخرى. أضف إلى ذلك أن السنوات التي تلت اتفاقية أوسلو قد استغلتها إسرائيل لخلق واقع جديد في القدس فكثفت عملية الاستيطان بشكل لم يسبق له مثيل، بقصد تغيير الواقع الجغرافي

والديموغرافي للقدس، غير آبهة بالقانون الدولي والاعتراضات والاحتجاجات وأعمال الرفض والمقاومة.

ومن هذه الأسئلة والتساؤلات:

١ ـ تطالب السلطة الوطنية الفلسطينية بدولة فلسطينية عاصمتها القدس. فأية قدس تعني؟

القدس بحدود ما قبل عام ١٩٤٨، أم القدس العربية أو الشرقية التي كانت قائمة حتى ٤ حزيران ١٩٦٧؟

إذا كان احتلال القسم الغربي من مدينة القدس عام ١٩٤٨ قد مثل البداية لعملية تهويدها، فقد شكل احتلال القسم الشرقي وما حولها عام ١٩٦٧ المنطلق للتوسع في الاستيطان لتحقيق مشروع القدس الكبرى وتغيير معالم القدس التاريخية بكل الوسائل والإجراءات السياسية والعسكرية والقانونية الزائفة.

لقد قفز عدد سكان القدس الموحدة (الشرقية والغربية) من ٢٦٦ ألفاً عام ١٩٦٧ إلى ٦٤٥ ألفاً عام ١٩٩٤، وفي هذه الفترة ذاتها زاد عدد اليهود فيها من ١٩٥ ألفاً إلى ٤٧٣ ألفاً، بينما زاد عدد العرب من ٧١ ألفاً إلى ١٧٢ ألفاً، وصار عدد الإسرائيليين في القدس الشرقية وحدها ١٦٠ ألفاً عام ١٩٩٣، بعد أن كان صفراً عام ١٩٦٧.

فماذا سيكون الموقف من الإضافات التي أدخلتها إسرائيل على القدس بعد عام ١٩٦٧ وحتى اليوم من أبنية وأحياء ومستوطنات

جعلت منها ما يسمى بالقدس الكبرى التي يراد توسيعها أكثر فأكثر لخلق القدس الميتروبوليتية التي ستضم القسم الأكبر من الضفة الغربية بقصد تغيير معالم المدينة للوصول إلى تعذر استيعاب أحد من مواطنيها العرب الفلسطينيين المغادرين إذا رغبوا في العودة، واستحالة تقسيم المدينة كما كانت في السابق.

٢ ـ والتساؤل الآخر الذي نطرحه: ماذا فعلت السلطة الفلسطينية لوقف الاستيطان في القدس، خاصة، وفي الضفة الغربية عامة؟ ألا تمضي في مفاوضاتها مع إسرائيل منذ عشر سنوات، في ظل استمرار الجريمة الرهيبة التي يمارسها الصهاينة في عمليات الهدم والاغتصاب والتوسع لوضع الفلسطينيين والعرب والمسلمين والمسيحيين في العالم أمام واقع جديد مصنوع ومفروض يلغي الواقع التاريخي الطبيعي الذي كان من قبل؟

٣ ـ ونتساءل: هل ستكون القدس عاصمة لدولتين، وكيف؟ إن إسرائيل ترفض تقسيم القدس وتعلن بإصرار أن القدس عاصمة أبدية لها وحدها، ولا شريك لها فيها. ثم هل ترضى السلطة الفلسطينية، إن تحولت إلى دولة قائمة على أشلاء من الأرض، أن تكون أبو ديس عاصمة لها؟ ثم أليس هناك خطة إسرائيلية لتهويد أبو ديس ذاتها؟

٤ ـ ونتساءل هل تملك السلطة الوطنية الفلسطينية وهي لا تمثل في أحسن الحالات إلا أقلية من أبناء فلسطين أن تبت

بمصير القدس وأماكنها المقدسة لدى المسلمين والمسيحيين؟ ومن سيتولى إدارة هذه الأماكن والإشراف عليها إذا صارت القدس عاصمة لإسرائيل وصار مسيحيوها ومسلموها العرب أقلية لا حَوْل لها ولا طَوْل؟!

أسئلة وتساؤلات عديدة لا تجد جواباً عنها. إنها في اعتقادي ستظل معلقة إلى أمد بعيد، وستظل معلقة ومنبئة بصراع دامٍ طويل الأمد، صراع الحق ضد الباطل، والحرية ضد الظلم، صراع قوى الخير والنور ضد قوى الشر والظلام.

٣ـ الشرعية الدولية:

إن تطبيق القرارات الدولية الصادرة عن هيئة الأمم المتحدة عامة ومجلس الأمن الدولي خاصة، ومراعاة المبدأ الذي قام عليه مؤتمر مدريد للسلام المنعقد عام ١٩٩١، بحضور الأطراف المعنية وبرعاية الدولتين الأكبر الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفياتي، وهو «مبدأ الأرض مقابل السلام»... هذه الأمور جميعها بمقدورها أن تؤدي إلى تسوية عادلة وشاملة وكاملة بين العرب وإسرائيل في الوقت الحاضر، وفي الظروف العربية الراهنة، ويعبر عنها بالشرعية الدولية.

إن هذا الموقف هو الموقف الذي تؤيده وتدعو إليه الجمهورية العربية السورية رئيساً وحكومة وشعباً، رافضة الحلول الانفرادية

والجزئية التي تهدر الحقوق العربية، ويحمل في طياته التمييز بين السلام والاستسلام.

إن هذا الموقف الذي رسمه الرئيس الخالد القائد حافظ الأسد وعبَّر عنه بصدق في أقواله وأفعاله مجسداً صمود الأمة العربية وكرامتها والذي يتابعه بعزم ودراية الرئيس الدكتور بشار الأسد يتوافق مع الشرعية الدولية التي يحترمها العرب والتي تكاد أن تكون الخيار الوحيد في الظروف الصعبة الراهنة. وهذا الموقف هو القاعدة الصلبة التي لا محيد عنها في أية مفاوضات بشأن استعادة الجولان كاملاً بحدود ٤ حزيران ١٩٦٧.

لقد سنحت فرص عديدة خلال نحوٍ من نصف قرن (١٩٤٥-١٩٩٠) كان ممكناً للعرب فيها أن يوقفوا الغزو الصهيوني عند حدٍ ما ويحبطوا مخططات إسرائيل، ويبددوا آمالها، باستخدام ما كان ميسوراً لهم من تضامن وتعاون ومن موارد مال ومساندة دولية، ولكن هذه الفرص ضاعت لسبب أو لآخر حتى كان مطلع التسعينيات من القرن العشرين، وها نحن في مطلع القرن الحادي والعشرين أمام خريطة سياسية جديدة ومغايرة للعالم بأسره.

إن هذه السنوات العشر الأخيرة جاءت حافلة بأحداث خطيرة على الصعيد الدولي: سقوط النظام الاشتراكي، واستقواء النظام الرأسمالي، غياب التوازن الدولي القائم على قطبين رئيسيين: الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وقيام القطب الواحد،

انحسار النضال الطبقي الرامي إلى تحقيق العدالة في المجتمع وبروز صراعات دينية وإثنية في مختلف القارات، ازدياد الأقوياء قوة وغنىً والضعفاء ضعفاً وفقراً، ومحاولة إحلال العولمة محل الأوطان والقوميات.. تنازل الهيئة الدولية عن مرجعيتها إلى دور تنفيذي لمشيئة المتسلطين، وظهور نظام دولي جديد يقوم على السوق التجارية المفتوحة.

وحفلت كذلك بأحداث خطيرة على الصعيد العربي تزامنت مع الأحداث العالمية السابقة، وبعضها ناجم عن تلك الأحداث: انحسار الموقف القومي العربي ليترك مكانه لصالح القطري، تضاؤل التضامن العربي ونشوء نزاعات حدودية ومصيرية بين البلدان العربية المتجاورة، غياب التعاون الاقتصادي والعسكري على الرغم من المعاهدات والاتفاقات التي تنظمه، انحسار دور جامعة الدول العربية وتعذر انعقاد مؤتمرات قمة، تجاهل الحكومات العربية الاستراتيجيات الأمنية والاقتصادية والتربوية والعلمية والثقافية التي سبق إقرارها، انحدار بعض الأنظمة العربية إلى تطبيع علاقاتها مع الدولة الصهيونية، تفريط منظمة التحرير الفلسطينية بحقوق الشعب الفلسطيني الثابتة التي أقرها المجتمع الدولي، تراجع النظر إلى المستقبل والنضال من أجل مجتمع أفضل، وظهور ردات إلى الماضي وهروب من مواجهة مشكلات العصر..

إن ذلك كلــه يجعـل التفـاوض علـى حلـول تحفـظ بعضـاً مـن الحقوق العربية، استناداً إلى الشرعية الدولية، أمراً مقبولاً.

٤ـ مواقف متباينة:

إن مصير القدس، في هذه الآونة، يقع ضمن جملة مـن القضايـا المهمة التي يراد التفاوض بشأنها بين السلطة الوطنية الفلســطينية وإسرائيل وأهمها: حق عودة اللاجئين الفلســطينيين إلى أراضيهـم ومنازلهم، ودفع تعويضات لهم عما لحق بهـم مـن ضـرر، ووقـف الاستيطان، وإزالة المستوطنات التي أقيمت في الأراضي المحتلـة، قيام الدولة الفلسطينية المستقلة على أرض الضفـة الغربيـة وقطـاع غزة بحدود ٤ حزيران ١٩٦٧، والقدس العربية أو الشرقية عاصمة لها.

إن الشرعية الدولية التي أشرنا إليها تتمثل في القـرارات الـتي صدرت عن الهيئة الدولية: الجمعية العمومية ومجلس الأمن بشأن القضية الفلسطينية، منذ نشأتها حتى اليوم.

لقد تضمن القرار رقم ١٨١ تاريخ ١٩٤٧/١١/٢٩ الذي صدر عن الجمعية العمومية والمعروف بقرار التقسيم، على الرغم مما انطـوى عليه من إجحاف بحـق العـرب، الدعـوة إلى تقسـيم فلسـطين إلى دولتين: دولة يهودية ودولة عربية وإقامة اتحاد اقتصادي بينهما. أما بشأن القــدس فقـد تضمـن القـرار أن يكـون لهـا كيـان خـاص

يخضع لنظام دولي ويتولى مجلس الوصاية في الأمم المتحدة إدارتها لمدة عشر سنوات، ثم يصار إلى استفتاء السكان حول رغباتهم من حيث التعديلات التي يرغبون في إدخالها على نظام الحكم.

لقد رفض العرب آنئذٍ تدويل القدس؛ ونتيجة لحرب ١٩٤٨، أصبحت القدس الغربية خاضعة للسلطة الإسرائيلية، في حين خضعت المدينة القديمة أي القدس الشرقية للسلطة العربية الأردنية.

وفي أعقاب حرب حزيران ١٩٦٧ واحتلال الجيش الإسرائيلي الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس العربية، أصدر مجلس الأمن قراره رقم ٢٤٢ تاريخ ١٩٦٧/١١/٢٢ الذي يدعو فيه إلى سحب القوات المسلحة الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها ــ ويشمل القرار بالطبع سائر الأراضي التي احتلت في تلك الحرب ــ كما يؤكد في حيثياته على عدم السماح باكتساب الأراضي عن طريق الحرب.

وبعد حرب ١٩٧٣ أصدر مجلس الأمن القرار رقم ٣٣٨ الذي طالب فيه الأطراف المعنية بأن تبدأ فوراً بتطبيق القرار السابق /٢٤٢/ بكل أجزائه، وأن تشرع بمفاوضات تحت إشراف مناسب بغية إقرار سلام عادل وثابت.

ومتابعة للمفاوضات التي جرت بين الفلسطينيين والإسرائيليين والتي انتهت ببعض الاتفاقات، دعا الرئيس بل كلينتون، رئيس

جمهورية الولايات المتحدة الأميركية ممثلي الطرفين إلى اجتماع مشترك في كامب ديفيد ـ تيمناً باتفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل! ـ للتفاوض بشأن مصير مدينة القدس والقضايا المهمة الأخرى الذي أشرنا إليها، وذلك في شهر تموز من هذا العام ٢٠٠٠.

وامتد الاجتماع نحو أسبوعين وأحيط بسرية وكتمان شديدين، وبذلت الإدارة الأميركية بقيادة رئيسها ووزيرة خارجيتها جهوداً كبيرة للوصول إلى حلول، ولكن المفاوضات تعثرت وانتهت إلى فشل ذريع بسبب تعنت الجانب الإسرائيلي وإصراره على تحقيق مكاسب غير قانونية، وعلى رأسها جعل مدينة القدس بكاملها تحت السلطة الإسرائيلية المنفردة، عاصمة أبدية لإسرائيل، كما يعبرون.

المواقف متباينة إلى حدٍّ التناقض في شأن القدس. يطلب الفلسطينيون أن تكون مدينة القدس الشرقية العربية تحت سيادتهم وعاصمة لدولتهم العتيدة، والدول العربية والإسلامية وسائر الدول التي بمقدورها أن تجهر بالحق تؤيد موقف السلطة الوطنية الفلسطينية. والمجموعة الأوروبية ماتزال عند موقفها الذي أعلنته في بيان البندقية الصادر في ١٩٨٠/٦/١٣ من حيث تأييدها لمقررات الأمم المتحدة والمتمثلة في عدم قبول أية مبادرة من جانب واحد تستهدف أوضاع القدس.

وعلى الضفة الأخرى تقف اسرائيل بكل صَلَفِها وتعنتها معتمدة على النفوذ الأميركي المساند لها في العالم.

إن الجانب الفلسطيني عندما يطالب اليوم بالسيادة على القدس الشرقية، بما فيها الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية إنما يتماشى مع الإرادة الدولية والقانون الدولي، في حين أن إسرائيل الطامعة في جعل القدس بكاملها تحت سلطانها وعاصمة لها تقف ضد الإرادة الدولية وخارجة على القانون الدولي.

إن لمدينة القدس بعداً دينياً وقومياً وأخلاقياً عظيم الشأن، فهي ليست واحدة من مدن فلسطين أو حاضرة من حواضر بلاد الشام فحسب، بل تتمتع بخصوصية فريدة تجعل منها رمزاً من رموز التاريخ الإنساني. إنها تخص العرب جميعاً في المشرق والمغرب وأينما وجدوا، مسلمين ومسيحيين، بل تخص المسلمين والمسيحيين في أرجاء الأرض قاطبة، فلا يصح بالتالي أن تخضع لسيادة سلطة غربية، وتبدل هويتها سلطة جائرة أدانتها الأمم المتحدة بالعنصرية، ووصمت أفعالها بالحقد والعدوان والأنانية.

إن الاغتصاب بالقوة لا يبطل حقاً ولا يخلق حقاً، بل يظل الحق حقاً والباطل باطلاً مادام أصحاب الحق يتمسكون به ويدافعون عنه.



الخاتمة:

لقد تكلمنا عن الشرعية الدولية، ولكن ثمة شرعية أخرى هي الشرعية التاريخية والحضارية والثقافية، وهذه الشرعية لها منطق آخر ومقاربة أخرى. إنها حالة محتملة وقادمة، حالة تستند إلى خلفية تاريخية وحضارية تمتد آلاف السنين، وحق ثابت لا يزعزعه إدعاء زائف، وقدرة بشرية لاحد لها وموارد اقتصادية ومالية هائلة.

إن الواقع القائم قابل للتحول، في لحظة ما، إذا فاجأته إرادة جماعية في التحرير، ولعل القدس تكون نقطة التحول هذا أو الدافع إليه.

إن التاريخ لم ينتهِ، ولسنا في خاتمة الزمن، والزمن لا يتوقف في يوم أو عام أو قرن بذاته. وربما في غدٍ ستنبت للحق أظافر يدافع بها عن نفسه، وينبت للحرية نيوب تذود بها عن نفسها.

إن أمتنا العربية قد واجهت في الماضي محناً أصعب من محنة الصهيونية ولكنها استطاعت أن تتغلب عليها عندما اتحدت كلمتها وعزمت على امتلاك الحرية.

تلك، ليست مسؤولية جيلنا فحسب، بل مسؤولية الأجيال القادمة كذلك، ولن يكون المستقبل إلا للحق والحرية وكرامة الإنسان.



الملحق (١)

العهدة العمرية

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها، وسائر ملتها، لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها، ولا من حيزها ولا من صلبانهم، ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيليا معهم أحد من اليهود. وعلى أهل إيليا أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم آمن، وعليه مثل ما على أهل إيليا من الجزية، ومن أحب من أهل إيليا أن يسير بنفسه وماله مع الروم يخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وعلى صلبهم حتى يبلغوا مأمنهم. ومن كان بها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيليا من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم. وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله، وذمة رسوله، وذمة الخلفاء، وذمة المؤمنين، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية.

التوقيع
عمر بن الخطاب

شهد على ذلك:

خالد بن الوليد ـ عمرو بن العاص ـ عبد الرحمن بن عوف ـ معاوية بن أبي سفيان.

كتب وحضر في سنة ١٥ هـ

الملحق (٢)

نص القرار رقم ٢٤٢ الذي اعتمده مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة (٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧)

إن مجلس الأمن،

إذ يعبر عن القلق الذي ما زال يثيره لديه الوضع الخطير في الشرق الأوسط.

وإذ يؤكد عدم السماح باكتساب الأراضي عن طريق الحرب، وضرورة العمل من أجل سلام عادل وثابت يسمح لكل دولة من دول المنطقة بأن تعيش في سلام.

وإذ يؤكد كذلك أن كل الدول الأعضاء بقبولها لميثاق الأمم المتحدة قد التزمت بالعمل وفقاً للمادة ٢ من الميثاق.

١ ـ يؤكد أن تحقيق مبادئ الميثاق يتطلب إقرار سلام عادل وثابت في الشرق الأوسط يشمل تطبيق المبدأين التاليين:

«١» انسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها في النزاع الأخير.

«٢» وقف كل مظاهر العدوان وحالات الحرب، والاحترام والاعتراف بالسيادة وسلامة الأراضي والاستقلال السياسي لكل دولة من دول المنطقة وحقها في الحياة بسلام داخل حدود موثوقة ومعترف بها بمأمن من كل التهديدات وأعمال العنف.

٢ ـ يؤكد كذلك ضرورة:

(أ) ضمان حرية الملاحة في الطرق المائية الدولية في المنطقة.

(ب) التوصل إلى تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين.

(ج) ضمان السلامة الأقليمية والاستقلال السياسي لكل دول المنطقة بتدابير تشمل إقامة مناطق منزوعة السلاح.

٣ ـ يرجو الأمين العام تعيين ممثل خاص يتوجه إلى منطقة الشرق الأوسط ليقيم علاقات مع الدول المعنية بغية تسهيل التوصل إلى تسوية سلمية ومقبولة وفقاً لأحكام ومبادئ هذا القرار.

٤ ـ يرجو الأمين العام أن يقدم إلى مجلس الأمن بأسرع ما يمكن تقريراً عن جهود الممثل الشخصي.

الملحق (٣)

نص القرار رقم ٣٣٨ الصادر عن مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة (٢٢ تشرين الأول ١٩٧٣)

إن مجلس الأمن:

١ ـ يطالب كل أطراف المعارك الدائرة بوقف إطلاق النار وإنهاء كل نشاط عسكري على الفور، وبعد اثنتي عشرة ساعة على الأكثر من وقت اعتماد هذا القرار، في المواقع التي يحتلونها حالياً.

٢ ـ يطالب الأطراف المعنية بأن تبدأ فوراً بعد وقف إطلاق النار تطبيق القرار رقم ٢٤٢ (١٩٦٧) الصادر عن مجلس الأمن بكل أجزائه.

٣ ـ يقرر أن تبدأ على الفور مع وقف إطلاق النار مفاوضات بين الأطراف المعنية تحت الإشراف المناسب بغية إقرار سلام عادل وثابت في الشرق الأوسط.

الملحق رقم (٤)

اتفاقية جنيف الرابعة لحقوق الإنسان

المادة ٤٧: إن الأشخاص المحميين في المناطق المحتلة لا ينبغي تجريدهم تحت أية ظروف كانت، من فوائد الاتفاقية نتيجة أي تغيير أو إجراء احتلالي على مؤسسات الأرض المحتلة ولا نتيجة أية اتفاقية مهما كانت بين سلطات المناطق المحتلة وبين القوات المحتلة ولا نتيجة أي ضم جزئي أو كلي للأرض المحتلة»

المادة ٤٩ الفقرة آ: «يحظر تحت أي ظرف ومهما كانت الدوافع نقل الأفراد بشكل فردي أو جماعي وبالقوة أو ترحيل أو طرد الأشخاص المحميين من الأراضي المحتلة إلى أراضي القوة المحتلة أو أي دولة أخرى سواء أكانت محتلة أو غير محتلة.»

المادة ٤٩ الفقرة ٦: «لا يجوز للقوة المحتلة أن تنقل أو تطرد جزءاً من سكان الأراضي المحتلة المدنيين حتى إلى منطقة أخرى في المناطق المحتلة».

اتفاقية لاهاي

المادة ٤٦: تحظر جميع أشكال مصادرة الأراضي الخاصة في الأرض المحتلة.

المادة ٥٥: يمكن استعمال الأرض العامة من قبل القوة المحتلة شريطة عدم تغيير وضعها.

المراجع

١ ـ الكتاب المقدس ـ منشورات دار المشرق بيروت ـ لبنان ١٩٨٦ .

٢ ـ القرآن الكريم ـ مكتبة فؤاد هاشم الكتبي بدمشق.

٣ ـ قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من اللاهوتيين والمختصين، منشورات مكتبة المشعل في بيروت / لبنان، ط٦، ١٩٨١.

٤ ـ كتاب «منشأ القضية الفلسطينية وتطورها» ١٩١٧–١٩٨٨ إصدار الأمم المتحدة بنيويورك ١٩٩٠.

٥ ـ كتاب «العرب واليهود في التاريخ» تأليف الدكتور أحمد سوسة، إصدار دار العربي للإعلان والنشر والطباعة والترجمة بدمشق، ط١ ١٩٧٥.

٦ ـ كتاب «العرب واليهود في سطور» تأليف الدكتور أحمد سوسة، إصدار العربي للنشر والطباعة والتوزيع.

٧ ـ كتاب «عروبة القدس في التاريخ» تأليف محمد أديب العامري، إصدار المكتبة العصرية بصيدا، بيروت، ط١ ، ١٩٧٢.

٨ ـ كتاب «فلسطين» مجموعة من المؤلفين، إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع دائرة التربية والتعليم العالي بمنظمة التحرير الفلسطينية، ط١، ١٩٨٣.

٩ ـ كتاب «قصة مدينة القدس» تأليف يحيى الفرحان، إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية ـ أمين التحرير ومنسق المشروع حسين العودات، ط١ بلا تاريخ.

١٠ ـ كتاب «الصهيونية العالمية»، تأليف عباس محمود العقاد، دار المعارف بمصر رقم ٢٧ سلسلة اخترنا لك.

١١ ـ كتاب «اسرائيل: جناية وخيانة»، تأليف سعدي بسيسو، ط٣ /١٩٥٧.

١٢ ـ كتاب «وثيقة الصهيونية في العهد القديم»، تأليف الدكتور جورجي كنعان، توزيع دار النهار للنشر ببيروت، ط٣ ١٩٨٥.

١٣ ـ كتاب «تاريخ فلسطين» بقلم الكاتب الفرنسي لوران غاسبار وترجمة إبراهيم ميخائيل خوري، إصدار إدارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي بوزارة الدفاع السورية ١٩٦٧.

١٤ ـ كتاب «آفاق الاستراتيجية الصهيونية»، تأليف العماد مصطفى طلاس إصدار دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر بدمشق ط١ ١٩٨٥.

١٥ ـ كتاب «الصهيونية غير اليهودية»، تأليف ريجيا الشريف وترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، عام ١٩٨٥.

١٦ ـ كتاب «إسرائيل من صنع الاستعمار»، تأليف الدكتور طه احمد شرف، إصدار دار المعارف بمصر ١٩٥٧.

١٧ ـ كتاب «فلسطين نحو تاريخ بلا أساطير»، تأليف لطف الله سليمان وترجمة محمد مستجير مصطفى، نشر دار سينا، ط١، ١٩٩٢.

١٨ ـ كتاب «القدس القضية»، تأليف يواكيم مبارك وترجمة مهاة فرح الخوري، إصدار مجلس كنائس الشرق الأوسط، ط٢، ١٩٩٦.

١٩ ـ «كتاب تاريخ القدس العربي القديم»، تأليف خالد عبد الرحمن العك، إصدار مؤسسة النوري للطباعة والنشر والتوزيع ط١، ١٩٨٦.

٢٠ ـ كتاب «القدس في فلسطين»، تأليف جورج مونتارون وترجمة فريد جحا، إصدار دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر بدمشق، ط١، ١٩٨٥.

٢١ ـ كتاب «مسلمون ومسيحيون من أجل القدس»، إعداد وتحرير ومراجعة مهاة فرح الخوري، جورج ناصيف، أولغا حجار، إصدار مجلس كنائس الشرق الأوسط، ط١، ١٩٩٩

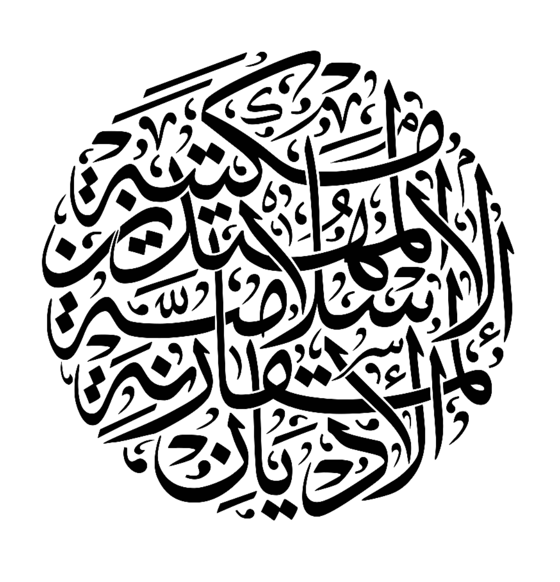
٢٢ ـ كتاب «قراءات في التوراة»، تأليف محمد خياطة، دار طلاس بدمشق ١٩٨٧.

٢٣ ـ «كتاب الاستيطان الصهيوني في القدس»، تأليف خليل وردة، ط١، ١٩٩٧.

٢٤ ـ كتاب «الأرض في الكتاب المقدس»، تأليف رياض قسيس، مطبعة ألف باء الأديب بدمشق.

٢٥ ـ كتاب «النظرية السامية مؤامرة»، تأليف الدكتور نعيم فرح، إصدار دار حسان للطباعة والنشر بدمشق ط١٩٩٣/١.




مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان

المحتوى

الصفحة

للمؤلف

١ ـ كتاب «حول المرأة» بالاشتراك، طبع في دمشق عام ١٩٤٧ (طبعة أولى) ثم أعيد طبعه في دمشق أيضاً عام ١٩٧٧ (طبعة ثانية) وعدد صفحاته (١٣٦) صفحة.

٢ ـ كتاب «الأدب في الميدان»، طبع بدمشق عام ١٩٥٠، وعدد صفحاته (١٧٨) صفحة.

٣ ـ كتاب «فصول في الأدب والاجتماع والتربية والثقافة والحياة العامة»، طبع في دمشق عام ١٩٥٦، وعدد صفحاته (١٧٦) صفحة.

٤ ـ كتاب «تاريخ الأمة العربية من الجاهلية حتى اليوم وتاريخ المخترعات»، بالاشتراك. طبع في حلب عام ١٩٤٩ وعدد صفحاته (١٥٠) صفحة (كتاب مدرسي).

٥ ـ ترجمة كتاب «الحرس الفتي»، تأليف الروائي الشهير الكسندر فادييف، بالاشتراك، طبع في جزأين من قبل دار الفارابي في بيروت عامي ١٩٥٤ و ١٩٥٥، وعدد صفحاته (٧٢٠) صفحة.

٦ ـ ترجمة فصول من كتاب «الاتجاهات الرئيسية للبحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية»، المجلد الأول (العلوم الاجتماعية)، من منشورات اليونسكو، أصدرته وزارة التعليم العالي السورية عام ١٩٧٧.

٧ ـ ترجمة كتاب «التجديد في تدريس العلوم»، من منشورات اليونسكو، بالاشتراك أصدرته وزارة التعليم العالي السورية عام ١٩٨٤.

٨ ـ كتاب «الترجمة قديماً وحديثاً»، إصدار دار المعارف بسوسة في تونس ١٩٨٧، وعدد صفحاته (٢٠٠) صفحة.

٩ ـ كتاب «تعريب التعليم الطبي والصيدلي»، اصدرتـه دار الرائد العربـي في بيروت ـ لبنان ١٩٨٧، وعدد صفحاته (١١٠) صفحات.

١٠ ــ كتـاب «دراسـات في الترجمـة والمصطلح والتعريـب» ج١، إصـدار دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر بدمشـق عـام ١٩٨٩، وعـدد صفحاتـه (٢٤٠) صفحة (طبعة أولى) ثم طبعته (طبعة ثانية) عام ١٩٩٢.

١١ ـ كتاب «القضية اللغوية في الجزائر وانتصار اللغة العربيـة»، عـام ١٩٩١ وعدد صفحاته (٨٨) صفحة.

١٢ ــ الاشـتراك في تـأليف معجـم اللغـة العربيـة ــ المحيـط، البـالغ عـدد صفحاته (١٦٠٠) صفحة، والصادر عن دار المحيط بباريس، عام ١٩٩٢.

١٣ـ كتاب «القدس في مواجهة الخطر» إصدار دار الطليعـة الجديـدة بدمشـق ٢٠٠١، وعدد صفحاته (١٤٤) صفحة.

١٤ـ كتاب «قصة الأيـام والشـهور والأرقـام وتسـمياتها» إصـدار دار الطليعـة الجديدة بدمشق ٢٠٠١، وعدد صفحاته (١٦٠) صفحة.

١٥ــ كتـاب «دراسـات في الترجمـة والتعريـب والمصطلـح» ج٢، إصــدار دار الطليعة الجديدة بدمشق ٢٠٠١، وعدد صفحاته (٢٤٠) صفحة.

وثمـة دراسـات ومقـالات عديـدة ومتنوعـة في الأدب والاجتمــاع والترجمـة والتعريب منشورة في المجلات والصحف السورية والعربية.

